عة الجيلالي بونعامة خميس مليانة – كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية – قسم العلوم الانسانية
– شعبة التاريخ –

محاضرات في مادة وسط وغرب إفريقيا قبل القرن السابع

مخصصة لطلبة السنة الأولى ماستر تاريخ

تخصص إفريقيا جنوب الصحراء

السنة الجامعية 2023/2022

برنامج السداسي الأول

ضمن برنامج التعليم عن بعد

محاضرات في مادة

وسط وغرب إفريقيا قبل القرن السابع

إن تاريخ غرب إفريقيا قبل القرن السابع يكتنفه الكثير من الغموض نظرا لغياب المصادر االمكتوبة حول هذه الفترة التي عرف فيها هذا الجزء من القارة عزلة حقيقية عن باقي شعوب و حضارات العالم، مما جعل دراسة هذه الفترة يعتمد بصورة شبه كاملة على الآثار المادية التي تركها الإنسان في هذه المنطقة من نقوش و رسومات و بقايا البنايات و المعابد والقصور و الخزف.

المحور الأول

حضارة الصيد في السافانا بإفريقيا جنوب خط الاستواء

مجتمع الصيد وجمع الثمار هو مجتمع يعتمد اقتصاده على البحث عن الطعام من النباتات والحيوانات البرية، بحيث لم يصل الى مرحلة يمكنه فيها صناعة طعامه او تامين غذائه اليومي عن طريق الزراعة او التربية الحيوانات.

وقد كان الصيد وجمع الثمار هو طريقة مورد الرزق السابقة للإنسان الهومو في جنوب افريقيا (وهو أول إنسان انشأ حضارة حجرية)، وتوضح جميع الدراسات أن الصيد و جمع الثمار النموذج الاقتصادي السائد في إفريقيا جنوب الصحراء إلى غاية الألفية السابعة قبيل الميلاد.

رغم أن أول الحضارات الإفريقية التي وصلت إلينا كانت منذ أن ظهر استعمال الحديد، و خاصة في منطقة السافانا، إلا أن هناك حضارات أخرى اقل تطورا ظهرت في المنطقة، اقتصر نشاطها الاقتصادي على صيد الحيوانات، في ظل جهلهم لتقنيات تربية الحيوانات والدواجن و زراعة الأرض.

لقد تميز الاقتصاد بالنسبة لهذه الأمم ببساطة كبيرة حيث لا يظهر فيها مجهود الإنسان في تطوير المنتوج الاقتصادي الذي اقتصر على أكل لحم الحيوانات التي تعيش في الخلاء بدون تدخل الإنسان، فحتى أثار عظام تلك الحيوانات ما تزال تشهد على تنوع تلك الأصناف الحيوانية التي كانت تخضع لصيد الإنسان الإفريقي، فحتى الحبوب التي كانت تجمع فانها من نوع الحبوب التي تنمو بطريقة طبيعية في الخلاء، و قد استعملت البغال من اجل طحن تلك الحبوب بعد قطفها.

لكن يبدو أن هذا النمط الاقتصادي البدائي لم يكن يحقق للإنسان الإفريقي الأمن الغذائي فهناك عدة شواهد أثرية تبين بان هناك العديد من هذه القوام كانوا يموتون من سوء التغذية أو نقصها أو بسبب المجاعات، خاصة مع بداية عصر التصحر و الجفاف خلال العصر النيوليتي(العصر الحجري الحديث.

و لقد تجسدت حضارة الصيد جليا في الأقوام و المجموعات البشرية التالية:

أولا: الخوسيون:

ويعرفون أيضا بـ (الكوسيون) وهم مجموعة عرقية من البانتويون تعيش في جنوب شرق جنوب أفريقيا، و الخوسيون هم السكان الوحيدون الذين سكنوا البلاد منذ عصور ما قبل التاريخ .

ثانيا: البانتو:

أُطلقت هذه التسمية على الشعوب التي تتحدث لغة البانتو، وهي شعوب تنتشر في معظم إفريقيا الجنوبية، من منطقة البحيرات العظمى الأفريقية في الشمال إلى سواحل رأس الرجاء الصالح في جنوب أفريقيا .و يتميزون عن الزنوج بفارق بسيط في لون بشرتهم الأقل سوادا نوعا ما، و لقد انقسم البانتو إلى ثلاث أقسام و هي بانتو الجنوب، و البانتو الشرقيون، و البانتو الغربيون أو ما يعرفون ببانتو منطقة الكونغو.

و يطلق عليهم أيضا اسم بانتويون وهي مجموعة إثنية تعيش في جنوب قارة أفريقيا تتكون من مئات المجموعات العرقية يتكلمون لغات تتفرع من لغة أم واحدة هي البانتو وينتشرون ولا تعد اللغة هي الرابط الوحيد الذي يجمع البانتو و إنما يشتركون في وحدة الدم

إذ ينحدرون من أصل عرقي واحد، لكن هذه الأسرة الكبيرة من البانتو عرفت تطورات جعلتها تنقسم إلى فروع جغرافية و تاريخية مكنت كل مجموعة منها من التميز بكيانها الاقتصادي والديني والعادات، منهال بانتو الشمال و بانتو الجنوب.

و تبقى المنطقة التي تشكل موطن حضارة البانتو هي إفريقيا الوسطى و بالضبط المنطقة الانتقالية بين منطقة الساحل الإفريقي و منطقة حواف الغابات الاستوائية، و هو ما يعرف بمملكتي البنين و الكونغو القديمتين.

1.انتشار شعوب البنتو:

يرجع المؤرخين سبب هجرة البانتو من مواطنهم الأصلية لسببين هما:

السبب الأول:

و يتمثل في انتقال البانتيين من اقتصاد بدائي هش يقوم على الصيد و التقاط الثمار إلى اقتصاد يقوم على إنتاج الغذاء كالزراعة و الرعي و تربية الحيوانات، مما نجم عنه تراجع في الوفيات و تزايد في النمو الديموغرافي أدى بهم إلى البحث عن مناطق حيوية أخرى خارج مواطنهم الأصلية أي من غرب إفريقيا إلى وسطها. بعدما استفادوا من تقنية زراعة الموز واليام[1]، التي جلبها الاندونيسيون إلى غابات وسط إفريقيا بين سنتي 200 و400م، **أما السبب الثاني:** فيعود إلى الغزو، حيث أدى تطور تقنيات صناعة الحديد إلى تفوق البانتو على الأقوام الأخرى مما جعلهم يقومون بغزو مواطن خارج موطنهم الأصلي، كما أصبحت الشعوب الأخرى تنجذب إليهم بسبب تفوقهم في استعمال الحراب الحديدية، و

---

(1) اليام هو نبات ومحصول زراعي في أكثر الدول الاستوائية على مستوى العالم يُرمز لة في بعض الدول (Plant yam‘s) وينمو هذا الجزء الكبير من ساق النبات تحت الأرض، ويخزن الطعام للنبات. وتحتوي الدرنات على كمية كبيرة من النشا و الماء وبعض السكر .وتحتوي بعض الدرنات على السموم التي قد تسبب المرض إذا ما لم تتم إماتتها بالطبخ . وتنتج درنات بعض أنواع اليام البرية مركبات تسمى الصابونين، يمكن استخدامها لعمل الكورتيزون، أي الهورمون الذي يعالج التهاب المفاصل، وبعض الأدوية الأخرى. وتُستخدم كلمة اليام للإشارة إلى درنات اليام. ويصل وزن بعض أنواع درنات اليام إلى أكثر من 45 كجم، كما يبلغ طولها 1,8م. وهناك 600 نوع من اليام، والنوع الطازج منه لونه أبيض أو أصفر. وغالبًا ما يلتَبس نبات اليام بالبطاطا الحلوة، وذلك بسبب إنتاج بعض أنواع البطاطا الحلوة لجذور مختزنة تشبه اليام.

قدراتهم الفائقة على الصيد و الحصول على اللحوم، و من جهة أخرى قوتهم في دفع الأقوام الأخرى إلى الهجرة.

ثالثا: مجموعة السان(او البوشيمان):

السَّان هم مجموعة من السكان الأصليون في إفريقيا الوسطى ، و لقد جاء مصطلح للتعبير عن البوشيمان التي استعملت خلال الفترة الاستعمارية، وتشير الدلائل التاريخية والأركيولوجية إلى ان مجموعات البوشمن عاشت في مناطق جنوب أفريقيا منذ 22 ألف سنة، مما يجعلهم من أقدم المجموعات العرقية ان لم تكن الأقدم على الإطلاق في أفريقيا. وهي مجموعة بشرية عرقية بدائية تعيش في صحراء كالهاري التي تتوزع بين كل من بتسوانا وناميبيا وجنوب أنغولا.

و تتوزع قبائل البوشمن(السان) ما بين بتسوانا وناميبيا. يبلغ عددهم الآن حوالي 82 ألف نسمة، منذ حوالي 22 ألف عام، ويختلف شعب بوشمان عن الزنوج ببشرتهم البنية المصفرة وقاماتهم القصيرة وجباههم البارزة وعيونهم الضيقة. و يصنف البوشيمان على أنهم أقدم جماعة بشرية اتخذوا الحيوانات الأليفة في إفريقيا، و هم صيادون بالدرجة الأولى.

و كلمة بوشيمان مركبة من كلمتين هما: بوش و تعني شجيرات القصيرة، و مان: وتعني الرجل، و بهذا فهي تعني رجل الغابات القصيرة. و يعد البوشيمان من الشعوب الأكثر بدائية في العالم، و أكثرها أهمية من حيث ما تركته من تراث فني، لا ينتمون لا للجنس الأسود ولا للجنس الأبيض، يتميزون بقامات قصيرة نوعا ما لهذا فكثيرا ما يتم الخلط بينهم بين البيغمي (الاقزام) فالبوشيمان يختلفون تماما عنهم، حيث أن بشرتهم اقل سوادا و تميل إلى الصفرة وشعرهم المفلفل و خاصة عند النساء، يستعملون في صيدهم أقواس صغيرة و سهام مسمومة مخيفة، و لكن رغم بدائيتهم لم يعثر على دليل يثبت أنهم تناولوا لحم البشر، و قد عرفوا بمهارتهم في الرسم عن طريق الفحم و الحبر، حيث رسموا الظباء و حيوانات أخرى بدقة متناهية.

و ينتشر البوشيمان عبر أربع محاور هي:

المحور الأول: و هو صحراء ناميبيا و هي صحراء قاحلة مطلة على المحيط الأطلسي في جنوب إفريقيا و ينتشرون في المنطقة الممتدة من مصب نهر الأورانج حتى ميناء لورد بيتر.

المحور الثاني: يشمل أواسط نهر اورانج إلى وسط بتسوالاند في منطقة الكاب.

المحور الثالث: يشمل جنوب

رابعا: البيقمي(الأقزام):

يعد الأقزام هم السكان الأصليين للكونغو، و لكنهم ينتشرون الان في ثمان دول افريقية هي(غينيا الاستوائية، الغابون، الكامرون، إفريقيا الوسطى، الكونغو، بورندي، رواندا).

و هم مجموعة بشرية قصيرة القامة و ذلك من خلال تأقلمهم مع الظروف المناخية. ومن أهم نماذجهم المعروفة هم أقزام منطقة موبتي (Mbuti) في غابات ايتوري في جمهورية الكونغو الديمقراطية. ويطلق على البيغمي أيضا اسم باياكا (Bayaka)، والتي تعني قصيري القامة.

و ينقسم البيغمي إلى 3اقسام:

1.اقزام المنطقة الوسطى:وتشتهر هذه المجموعة بداية من غرب الكامرون حتى بورندي(و هم الأقزام الحقيقيون) و أهمها مبوتي(Les Mbuti) في شرق الزائير، وغرب االكونغو بالإضافة إلى البابينغ(Babinga) و مبنغا(Mbenga).

2.**الأقزام الغربيون:** سكنون وسط و جنوب الغابون، اين تعيش جماعة الاكوا، البابونغو والبيكوي، و جماعات أخرى.

3.الأقزام الشرقيون: وهم البامبوتي (les Bambouti) أي رجال الغابة ومنهم الاكا(Aka) و الايفي (évé) و الباتوا(Batoi).

و ينحدر البيغمي و البانتو من أصول قديمة مشتركة يرجع استيطانهم بالمنطقة إلى زمن بعيد تعود إلى أزمنة غير معروفة فلقد كانوا معروفين لدى الفراعنة بناة الأهرام، وما يزال في جمهوريتي الكونغو الديمقراطية وإفريقيا الوسطى يعيش حوالي 50 ألف بيغمي يزالون

يحتفظون بنمط حياتهم القائم على الترحال و التقاط الثمار و الصيد، و لا يمارسون أي نوع من تربية الحيوانات أو لا زراعة. حيث يعتصمون بأشد الغابات كثافة في ةسط افريقيا ويعيشون في جماعات متباعدة يصطادون بالعصي و السهام المسمومة و يقيمون في اكواخ صغيرة في مكان منعزل في الغابة، أما من حيث اللغة فلا يكاد يعرف لهم لغة خاصة بهم وربما تكلموا لغة البانتو لكونها الأقرب إليهم.

أما بالنسبة لعقيدة البيقمي الدينية فهي خليط مما اقتبسوه من جيرانهم البانتو وبعض المعتقدات الأصيلة لديهم، فمنهم من يقدس العواصف الطبيعية بالبرق و سمونها الجداو قوة السماء، و يقدمون لها القرابين و المتمثلة في قلب الفريسة التي يصطادونها أو جزء منها. اما مجموعة الايفي الذين يسكنون غابات توري فيسمون هذا الإله ناعم توري، و يتقدون انه حاكم كل شيء و يقتل الأشرار بصواعقه و انه هو المسؤول عن إطعامهم.

خامسا:حضارة البانتو و ممالكها القديمة:

لقد ظهرت حضارة شعوب البانتو في المنطقة الانتقالية بين منطقة الساحل و منطقة الغابات الاستوائية الإفريقية، حيث أدى انتشار شعوب البانتو في هذه المناطق نتيجة تطور النموذج الاقتصادي من الصيد و قطف الثمار إلى الزراعة و الرعي، بالإضافة إلى تمكنهم من استعمال الحديد، و قد شملت هذه الحضارات أجزاء كبيرة من وسط إفريقيا متمثلة في كل من الدول الحالية وهي: الكونغو الديمقراطية، الغابون، جمهورية إفريقيا الوسطى، رواندا وبورندي.

فلقد عرفت هذه الحضارة بداية استئناس الحيوانات، وكان الحمار هو الحيوان الأليف الوحيد و المهم بالنسبة لشعوب البانتو في هذه الفترة، بينما الماعز، الخرفان و الأبقار فقد دخلت إلى وسط إفريقيا في وقت لاحق انطلاقا من الشرق الأوسط عن طريق مصر.

كما عرفت المنطقة ظهور نظام الإنتاج الزراعي الذي انتقل من وسط إفريقيا إلى أراضي السافانا الجنوبية، حيث أنها سلكت نفس طريق انتشار لغة البانتو، التي انتشرت كما سبق وأن ذكرناه انطلاقا من إقليم كاتنغا باتجاه الغرب و الشرق و الجنوب، و التي تعود إلى القرن الثالث الميلادي، فوصلت إلى الكونغو وأنغولا وإلى غاية نهر الزمبيزي و جنوب بحيرة

تشاد و كل مناطق انتشار الشعوب الناطقة بالبانتو، أن هذا التحول في النظام الإنتاجي ساهم في تزايد عدد السكان الناطقين بالبانتو بشكل سريع في وقت قصير، و ساهم في ذلك أيضا اتصالهم بالشعوب العربية و الاندونيسية الذين جلبوا منهم تقنية زراعة الموز. و حتى الكثافة السكانية للبانتو في منطقة السافانا أصبحت مرتفعة مقارنة مع الفترات السابقة.

و من هنا بدأت تتشكل أول ممالك البانتو، حيث كانت أول هذه الممالك تعود إلى تاريخ نهاية العصر الحديدي، و كان ذلك بمثابة أول النتائج الحضارية للتطور النوعي في وسائل الإنتاج الزراعي، عن طريق تطور المستوى المعيشي للشعوب البنتية، فلقد أصبح االبانتو يفضلون الزراعة التي تقوم على تخصيص مساحات زراعية لكل عائلة، و بدأت العائلات يقلصون حصتهم من إنتاج اللحوم الحيوانية التي يتم جلبها من الصيد في الغابات، من خلال اللجوء إلى استهلاك اللحوم الناتجة عن تربية المواشي و الرعي، وهذا بعدما تعلموا هذه الممارسات عن طريق احتكاكهم بالشعوب السامية.

فهذه العوامل ساعدتهم على الاستقرار و التوطين، و بفضل استقرارهم بدأت تتشكل أول نماذج الدول، من بينها مملكة الكونغو، مملكة مونوموتابا، مملكة كوبا، مملكة لوبا، مملكة لوندا، مملكة باميليكي، مملكة بامون، و مملكة باتوا. و التي اثبت الأبحاث أنها كانت موجودة قبل القرن الثامن، و لكنها استمرت إلى غاية القرون الموالية و بلغت أوجها بين القرنين 11 و 15م

سادسا: مملكة باميليكي(Bamiléké):

ظهرت هذه المملكة في غرب و شمال غرب الكامرون الحالية، و يعد الباملیكي فرع من شعب البانتو، حيث انتقلت عناصره باتجاه الكامرون في أوقات بعيدة في التاريخ بسبب الانفجار السكاني الذي حدث في وسط و غرب إفريقيا نهاية العصر الحديدي نتيجة تطور أساليب إنتاج الغذاء مما دفعهم إلى هذه المناطق من اجل البحث عن أراض جديدة و موارد جديدة لأعداد شعبهم المتزايدة.

و تعد منطقة بافوسام (Bafousam)، الموجودة في منطقة تيكار شمال غرب، حيث تعد بافوسام عاصمة أول مملكة للباميليكي و قرية أوائل الباميليكي بعد هجراتهم من وسط إفريقيا.

1.النظام السياسي للمملكة:

أ. الملك:

و كان التنظيم الاجتماعي و السياسي لمملكة باميليكي كان يتم على يد القائد والنبلاء بالإضافة إلى الرجال الأحرار و العبيد. و في قمة هرم المملكة نجد الملك الذي يطلق عليه اسم فو أو (فونغ)، و هو لقب لا يعني ملك بقدر ما يعني رئيس تجمع سكاني او قائد، حيث يشكل الفو رمز وحدة الشعب، حيث تتشكل هذه الوحدة على أساس الاشتراك في المراعي او في الأراضي المزروعة أساسا و التي يملكها النبلاء، مما يجعل تجمعاتهم السياسية تاخذ شكل شراكة رعوية و زراعية.

أما بخصوص مجلس النبلاء فيتكون من تسعة نبلاء، و له سلطات كبيرة و خاصة بخصوص الجانب الديني و العلاقة مع أرواح الأجداد ، كما أن اعتلاء الملك العرش يتم بعد اجتيازه لتربص تدريبي في شؤون الحكم و القيادة، حيث يكون الإرث العقاري كله ملكا له.

إن الملك الذي يخلف الفو(Fo) يتم اختياره من طرف أبنائه البيولوجيين، حيث يقوم الملك في حياته باختيار خليفته و لكنه يبقي ذلك الأمر سرا و لا يعلمه إلا ثلاثة أو أربعة أشخاص من كبار النبلاء وأعضاء في المجلس الملكي، والذين يكونوا قد أدوا اليمين باحترام إرادة الفو(الملك) بعد وفاته. كما أن اختيار خليفة الملك لا يستند إلى أحقية الابن الأكبر لأن الملك حر في اختيار أي واحد من أبنائه، و بعد وفاة الملك يجتمع المجلس الملكي من اجل تنظيم احتفالية في القصر يتم من خلالها الإعلان للشعب عن اختيار خليفة الملك على العرش، و خلال هذه الاحتفالية العامة يقوم النبلاء الكبار بوضع كل أبناء الملك المتوفى في ساحة كبيرة في وسط الاحتفالية و يقدمون الابن الذي تم تعيينه من طرف الملك الراحل كولي للعهد، حيث يتم اقتياد هذا الأخير إلى ما يعرف عندهم بلاكام (LÃ KÃM)، من اجل التربص الذي يدوم تسعة أسابيع.

و اللاكام هو عبارة عن مكان موجود في الغابة المقدسة المحاذية للقصر الملكي، وكيفية استعمال الشارات و الأوسمة الملكية، حيث يتم تسخير الأسبوع الأول لدراسة تاريخ

المملكة و مهمة القائد او الملك من واجبات و حقوق، كما يتم التدرب على التحكم في العالم الخفي والقوى الباطنية، و طوال مدة التربص يقوم الملك باختيار مستشاريه ووزرائه الذين سيرافقونه في مهمته الجديدة، كما يتم إحاطة الملك خلال هذه الفترة بثمانية فتيات الذين يقومون من الناحية الظاهرية بخدمة الملك من إعداد طعام و تنظيف المكان خلال إقامته في لاكام، ولكن مهمتهم الحقيقية هي التأكد من رجولة الملك وقدرته على إنجاب الأطفال، لأنه بعد الأسبوع التاسع و نهاية التربص إذا تم التأكد من انه إحدى تلك الفتيات لم تحبل فان المجلس الملكي يتراجع عن قراره في تعيين الملك الجديد و يقصيه من تولي العرش و يلجأ إلى اختيار ابن أخر من ابنا الملك الراحل لخلافة أبيه.

إن الملكة و هي السلطانة الأم و تلقب ب مافو (Mafo) والدة الملك الجديد و زوجة الملك الراحل تلعب دورا دينيا يتجاوز الدور الذي يلعبه الملك نفسه، كما تتجاوز الملك من ناحية السلطة، فهي تسهر على الدفاع على مصالح ابنها بنوع من غيرة الأم على ابنها، وخاصة خلال سنته الأولى في الحكم.

أما بخصوص المجلس الملكي فهو مكون من تسعة نبلاء و تحتهم يوجد رجال الدين والكهنة الملقبين بـ (تشيندا Tchinda)، و الخادمون الملقبون بـ (والا Wala)، بالاضافة إلى الفولي(les foulés) الذين يمثلون الملك في القرى.

2.الحياة الاجتماعية:

أ. الطقوس الجنائزية عند الباميليكي:

في ثقافة بميليكي فإن التقاليد تعد بمثابة قوانين مقدسة لا ينمكن تجاوزها او التسامح معها، لأنها عبارة عن مكتسبات تراكم تجارب عدة أجيال منذ بداية التاريخ، كما أنها تمثل نتاج الحكمة عند هذا الشعب. كما تعد التقاليد عند البميليكي عبارة عن وسيلة التواصل بين الأموات والإحياء لأنها تحمل كلام الأجداد و وصيتهم، وهي تشمل مختلف الصلوات والقرابين و الأضاحي و الأساطير.

فالأموات عندهم لم يموتوا حتى و إن كانوا يبكون موتاهم، و تنظم لهم جنازات، و يتم رثاءهم خلال تسع أيام من الحداد. حيث يتم مرافقة الميت إلى حياته الجديدة، فالموت عند

الباميليكي هو حدث اجتماعي هام جدا، حيث يتم فيه تسجيل المواقع الاجتماعية و الأسرية، كما تعد مناسبة للاحتفالات الفخمة و التفاخر، كما تعبر على العلاقة الضيقة التي تجمع الأحياء بالراحلين عن هذا العالم.

فالموت التي يُحتفَلُ بها بطريقة جيدة عندهم فإنها تعبر عن علاقات منسجمة و مريحة مع عالم الأجداد، و لما يموت احدهم هناك عدة أسئلة تطرح حول طريقة و أسباب موته حتى يتأكدوا إن كانت موتته هي ميتة جيدة ميتة سيئة. و يقوم بهذه العملية عرافين او أشخاص لديهم دراية و مستوى عال بطرق الاتصال بالأرواح، حيث يتم استجوابهم من طرف عائلة الفقيد ليتعرفوا على طبيعة موت فقيدهم.إن الموت الجيدة عندهم هي وفاة رجل أو امرأة ذوي سن متقدم و لديهم أحفاد كثيرون، حيث يموت في سريره محاط بأحبابه ومقربيه، و هو ما يسمح له بتقديم وصيته و تعيين وريثه، و يستفيد من كل الطقوس الجنائزية. فيكون بذلك رحيله فال خير يقوي علاقته مع عالم أجداده الموتى.

أما الميتة السيئة بالنسبة للبميليكي فهي التي تحدث خارج القرية بعيدا عن أهله و أحبابه، بحيث لا يمكنه الاستفادة من الطقوس الجنائزية اللائقة و اللازمة لرحلته إلى عالم الأجداد و العودة إلى جانب الأحياء.

ب.عقيدة الجماجم:

لكي يصبح الإنسان الميت من الأجداد أين تعيش الأقوام الراحلة التي شقت طريقها إلى الله، لا بد من سلك مسار يبدأ من الموت طقوس يتمكن من خلالها الميت من العودة لأخذ مكانه بين الأحياء، هذا المكان مجسد على شكل كوخ الجماجم، او كوخ الأجداد، فكل عائلة لابد أن تملك كوخا مماثلا، و هذا الكوخ ليس ضريحا و إنما بيتا يعيش فيه الناس و مليء بالحياة، يخصص لواحد أو أكثر من أفراد العائلة الموتى، و تكون تحت حراسة كبير العائلة، حيث يعتبر الأجداد الموتى حاضرون جسديا مع العائلة من خلال جماجمهم. فهم بالنسبة إليهم أحياء لأنهم يستطيعون استشارتهم ويمكن إطعامهم، وإشراكهم في مختلف الأحداث، والقرارات الهامة للعائلة، فالجماجم هي رمز تواجد الأجداد بين الأحياء، فالميت يتحول إلى شفيع للعائلة اتجاه الأجداد و اتجاه الله.

3.النشاط الزراعي:

لقد اهتم الباميليكي بزراعة الحبوب و الدرنيات التي عد اهم مكونات نظامهم الغذائي، و من بين الحبوب يجب أن نذكر الفول السوداني، الذي يسمى عندهم (بييلنغ Biylng)، والفاصوليا التي تسمى عندهم (مكويني Mkouéné)، و عندهم نوع من الفاصوليا تسمى عندهم (غي مكويني) التي لديها أهمية غذائية كبيرة عندهم، و يزرعون أيضا البازلاء، والفستق، و هناك نوع من الفستق يطلق عليه عندهم اسم (جي Dji)، لديه أهمية رمزية لا مثيل لها عندهم بحيث تنظم لهذا المحصول احتفالات و طقوس و تفرش لها السجادة الحمراء. بينما يبقى الذرة هو ملك الأغذية عندهم، إذ يصنعون منه كسكس الذرة الذي يعد الطبق الأساسي لديهم.

سابعا: البنتو الشرقيون:

البنتو الشرقيون ينتشرون فيما يعرف دولة الكونغو الديمقراطية الحالية، كما ان اغلبهم يتمركزون في شمال و جنوب جبال فيرونغا (Virunga)، وهذه الشعوب تنتمي إلى مجموعة بانتو منطقة البحيرات، و يتفرعون كما يلي:

1.**الشعوب المستقلة، و هم:**

باكونجو(Bakonjo): لا يشكل الباكونجو سلالة مستقلة، و لكن يبدو انهم يعدون آخر من بقي من البنتو الشرقيون، فقد وجدوا هناك قبل الهجرات الحامية إلى المنطقة، كانوا يسكنون في أزمان بعيدة منطقة فوتا تورو بالسنغال، لكنهم اضطروا إلى اللجوء نحو المنحدرات الجنوبية لجبال روانزوري (Ruenzori) بأوغندا الحالية،و هذا بعدما تعرضوا لغزو شعب الباتورو(les Batoro) في أوغندا. كما نجد الباكونجو أيضا في بحيرة (البير ادوارد) بوسط إفريقيا، ويعتبر الباكونغو جبليون و صيادون موهوبين، يتمتعون بقوة عضلاتهم، و قدرتهم على تحمل البرد الذي يميز مناخ الجبال.

بابيرا (Babira): و لقد سكنوا المنطقة الموجودة في جنوب شرق باليغا (Balega) بالكونغو.

وانيا بوغا (Wania Boga): ان اقليم بوغا يمتد الى غاية حواف الغابات الاستوائية، ويسكنه شعب يعرف بوانيا بوغا، وهم يشكلون شعب ذكي مزارعون، ويربون الماشية

الصغيرة، و يشبهون الباتورو في تنظيمهم السياسي. حيث يمارس زعيمهم سلطة مطلقة ويمارس القضاء بنفسه.

وانيا بلي(Wania Blé): يعيشون جنوب وانيا بوغا، و لكن تنظيمهم السياسي اقل تطورا من الشعوب الاولى.

وامبا (Wamba): يوجد هذا الشعب في شمال غرب جبال روانزوري.

بوسايغا(Busaiga): و يتمركزون في شمال جبال روانزوري.

2. الباهيما و الشعوب الخاضعة لهم:

الباهيما هم مجموعة عرقية نجدها في المناطق و الإمارات المنتشرة بين بحيرة فكتوريا و بحيرة البير، و يعد مركزها الرئيسي هو منطقة سيما (Sema) في شرق افريقيا ، لكن موطنهم الحالي هو منطقة انكول (Ankole) غرب سيما. تتمتع أرضهم بكثرة المراعي الواسعة لذلك مارسوا رعي الماشية ;و عاشوا اسيادا لتلك الارض، وهم ينظرون الى شعوب رالبايرو و الانكول بنوع من الازدراء لانهم كانوا يعتبرون من اقنانهم و خدمهم. و يتمتع الباهيما بالذكاء، ذوي قامة طويلة و جسم نحيل و بشرة صفراء نوع ما، و لا يحب الباهيما أبدا الاختلاط مع الاهالي، بل الزعماء من الاهالي هم من يحاول اقامة تحالفات مع الباهيما. و تعد منطقة البحيرات الكبرى هي مكان انتشار الباهيما، حيث نجدهم في اوغندا وتنزانيا و بورندي و رواندا، و تسيطر الباهيما على عدة شعوب هي:

باتوزي(Batuzi) ، باليرا(Balera)، واروندي(Warundi)، باسيجي(Basigi)

3.شعب وانيامويزي (Les Waniamwezi):

ينحدر أصل شعب الوانيامويزي من شرق بحيرة تاجانيقا، و يتمتعون بجمال الشكل والقوة، يمارسون التجارة التي تعلموها من العرب الموجودين في سواحل شرق إفريقيا . يحملون كل صفات الشعب المستعمر، و لديهم أتباع كثيرون من إقليم كاتنغا البيض.

ثامنا: حضارة الباهيما:

يعود تاريخ تواجد شعب الهيما أو الباهيما إلى العصر الحجري الحديث (العصر النيوليتي)، حيث قدموا من منطقة الشمال، و هناك فرضيات تقول أنهم قدموا من الهند، ثم رسوا على الساحل الشرقي قبل أن يصعدوا مع نهر الزمبيزي باتجاه البحيرات الكبرى. وهناك فرضيات أخرى تنسب أصلهم إلى الأحباش الفارين من غزو اليمنيين الحميريين، مما جعلهم يتوغلون إلى وسط إفريقيا في أزمنة بعيدة من التاريخ تعود إلى 200ق م. لكن الباهيما أنفسهم يرفضون هذا الطرح و يقولون بأننا قدمنا من الشمال من الأراضي التي تجاور البيض أي تجاور منطقة الساحل.

و لقد تمكن الباهيما فيما بعد من السيطرة على المملكة التي أسسها شعب انكول، حيث كانوا يشكلون في هذه المملكة اعلي طائفة في السلم الاجتماعي باعتبارهم يمثلون طائفة الرعاة التي تملك الأرض. حيث قاموا باستعباد الشعوب المزارعة في منطقة البحيرات والذين يطلقون عليهم اسم باليغا (Balega) أي الخدم أو الأتباع، بينما يعتبر الباهيما أنفسهم بالأسياد الذين تسري في عروقهم دماء الأسياد و الملوك.

و إذا أردنا أن نتحدث عن حضارة الباهيما فيمكننا أن نلمسها من خلال مملكة انكول التي كانت تابعة لهم.و التي تمثلت مظاهرها فيما يلي:

1.المظاهر الاجتماعية:

أ. المرأة عند الباهيما:

كان المجتمع مقسم إلى طبقات، و كان نساء الطبقات الراقية يعشن في عزلة عن المجتمع و لا تخرج مثل نساء الطبقات الأخرى، و عند خروجهن في ظروف خاصة يضعن اللثام على وجوههن، و لا يمكن للمرأة من الباهيما أن تخرج إلى الحقل للعمل عكس بقية نساء الطوائف الأخرى، و عند قدوم أي غريب إلى البيت فممنوع عليها أن تنظر إليه مباشرة. و كان الرجل منهم يتزوج العديد من النساء قد تصل إلى سبعة نساء او اكثر. لكن الرجل من الباهيما لا يمكنه أن ينظر إلى أي فتاة من الباهيما مباشرة قبل أن يتقدم إلى أبيها ليطلبها منه للزواج، و لا يمكنه أن يتحدث مع غيره عن رغبته في الزواج من أي فتاة من الباهيما قبل أن يتقدم إلى أبيها ليطلبها منه مباشرة، لان الفتاة الباهيمية لديها سمعة ونقاوة لا يمكن أن تدنس بأي شكل من الأشكال. و من عادات الباهيما في الزواج انه إذا

تقدم احد الشباب إلى والد الفتاة ليخطبها يحمل معه كأسا من شراب يسمى عندهم اماروي (Amarwé)، وهو شراب حلو مصنوع من نوع من الحبوب المحلية يسمى ويمبي (Wimbé)، كما يحمل معه بقرة و عجلا، فإذا حدث الاتفاق يقوم والد الفتاة بشرب مشروب اماروي، بينما يقوم الشاب بحلب البقرة و تقديم قدح من الحليب إلى الفتاة لتشربه.

ب.اللباس:

يلبس الرجال الأحرار عند الباهيما جلود الماعز مفصلة على شكل سترات تربط على كتفهم الأيسر، و في مرات أخرى كان يتم استبدال جلد الماعز بجلد الضبي او بقر الوحش، بعدما يتم نزع الشعر منها، اما بالنسبة للنساء فان لباسهم يعد أكثر اتساعا، و يتشكل عادة من جلد البقرة بعدما يتم ضربه إلى أن يصبح ناعما جدا.

أما العبيد فلا يوجد لباس كامل بالنسبة إليهم، حيث يكتفون عادة بإطلاق حزام عريض مصنوع من ورق الذرة او القماش المصنوع محليا او من لحاء الأشجار. أما بالنسبة للفتيات غير البالغات فأنهن يمشون عرايا بدون لباس، و لكنهن يختبئن عند اقتراب أي أجنبي عن القبيلة، أما الأولاد فأنهم يلبسون مثل الرجال حيث يضعون على أكتافهم جلود الخيول.

كما يضع الباهيما على أيديهم وأرجلهم عدة إشكال من الجواهر على سبيل الزينة والتعويذات (أي أحجبة لطرد النحس و جلب الحظ)، كما يضعون تلك الأشكال على رقابهم و أحزمتهم، كما يحمل الباهيما عصي طويلة معهم و هي رمز لطائفة الرعاة التي ينتمون اليها.

ج . عادات المولود الجديد:

في ثقافة الباهيما بعدما تضع المرأة مولودها تنعزل عن العالم لمدة ثلاثة أو أربعة أيام في مكان معزول يسمى ايكيريري (Ikiriri)، يتم خلال هذه الفترة اختيار اسم للمولود الجديد، الذي يتم من طرف الأب أو الجد، و يكون الاسم مرتبط عادة ببعض الأحداث، التي حدثت للآباء أو الأجداد، او مرتبط بمكان الولادة، او باسم احد الأجداد.

د.الطقوس الجنائزية عند الباهيما:

في تقاليد الباهيما فان جثة الميت تحفظ لمدة معينة في مسكنه، بحيث يكون لأقربائه لطلب المغفرة له، فالجثة يتم دفنها في الحقول الخاصة بالبايرو و الباهيما. أما الدفن فيكون بعد الظهيرة، حيث يتم وضع الجثة على جنبها الأيسر بالنسبة للنساء و الجنب الأيمن بالنسبة للرجال، و تكون موجهة نحو الشرق، و بعد الدفن يتبعه ثلاثة أو أربعة أيام للحداد حسب الشخص الميت أن كان رجلا أو امرأة، في هذه الأيام يبقى الأقارب بالقرب من الجثة، ينامون داخل البيت ، لأعمال يدوية ممنوعة خلال هذه الفترة بحيث يعتقدون بأن هذه الأعمال يمكنها أن تجلب لهم كوارث طبيعية و عواصف. و تتبع عملية الدفن طقوس مختلفة حسب سن و مكانة الميت.

أما الانتحار فيعتبر أمرا محرما، فعندما يجدون جثة مشنوقة على شجرة فإنها تحتاج إلى تراتيل خاصة بها، والحبل لا يجب أن يقطع من طرف أي احد و إنما تقطعه امرأة تكون في مرحلة سن اليأس، و تقوم ببعض التعويذات الخاصة لحماية نفسها، لانهم يعتقدون بان من يقوم بقطع الحبل سيموت في اقرب وقت. كما أن جثة الميت لا يجب لمسها و حتى دفنه يتم مباشرة بحفر قبر تحت الجثة و بمجرد قطع الحبل تسقط الجثة بداخله، و لا يقام حداد على الميت المنتحر.

أما بالنسبة لوفاة النساء و الفتيات العذراوات اللائي لم يسبق لهن الزواج فيتطلب طقوسا خاصة من اجل التخفيف عن عدم الرضا اتجاه هؤلاء الموتى و اتجاه الأحياء، حيث يقوم أحد إخوتها بمجامعة الجثة في طقوس تسمى عندهم بـ(اوكوغفيزا اومبانغو اهاموتوي *okugyeza empango ahamutwe*)، بعد ذلك يتم ابعاد الجثة من الباب الخلفي للبيت.

المحور الثاني

مملكة غانة قبل القرن السابع

مقدمة:

تعد هذه المملكة أقدم الممالك المعروفة إلى غاية اليوم في منطقة السودان الغربي، كما تمثل أقدم تجربة في الحكم الوطني الناجح في المنطقة. و رغم أن أصل هذه المملكة ما يزال غامضا إلا أن المصادر الموجودة تؤكد بأنها كانت موجودة بشكل لافت منذ القرن الثالث للميلاد. و قد امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى نهر النيجر شرقا، و من الحواف الجنوبية للصحراء الكبرى شمالا إلى منطقة الغابات الاستوائية جنوبا.

و رغم أن المصادر العربية تحدثت عن مملكة غانة لكنها لا تتحدث عن غانة التي كانت موجودة قبل القرن السابع، و إنما غانة التي تحدث عنها البكري هي تلك التي وجدت قبيل الغزو المرابطي لها، ثم تحدثت الإدريسي و ابن سعيد و غيرهم عن غانة الإسلامية التي كانت خاضعة لحكم المرابطين و يحكمها ملك مسلم. فنحن اليوم نتحدث عن مملكة واغادو الوثنية التي ظهرت منذ القرن الثالث للميلاد، و التي لم تتحدث عنها المصادر العربية ، والتي وجدت مصادرها في الروايات الشفوية المحلية.

أولا:التسمية و الموقع و الاسم:

وُجدت العاصمة الغانية التي نسبت إليها المملكة في أقصى شمال باغانا ببلاد الاوكر، غير بعيدة عن مدينتي ولاتة و نيما الواقعتان جنوب شرق موريتانيا الحالية، فعندما زارها ابن حوقل خلال القرن العاشر وصفها بأنها تقع على بعد 10. او 20 يوما شرق اودغست. و قد اشتهرت غانة بهذا الاسم بالنسبة لاسم عاصمتها غانة أو غناتا، و غاناتا أو غاناتو، و هو تحريف للكلمة السوننكية القديمة كانا(Kana) و تعني القائد أو الملك حسب دولافوس، كما نجد التفسير عند البكري الذي يقول:« وغانة سمة لملوكهم واسم البلد أوكار».

وهو ما يعني بان المملكة سميت بهذا الاسم نسبة إلى اللقب الذي كان يتخذه ملهم و هو غانة، أما البلاد فهي بلاد الاوكر، و لكنها ولقد عرفت هذه المملكة عند المصادر الشفوية

للسوننكي باسم "مملكة واغادو (Wagadou) نسبة إلى أحدى العشائر السوننكية التي حكمتها بعدما سيطرت على الأرض وطردت القبائل البيض واستلمت زمام الأمور.

ثانيا: الجذور التاريخية للمملكة:

لقد شغلت هذه المملكة مساحة شاسعة من جنوب غرب الصحراء الكبرى، و لقد تأسست على أيدي السوننكي، و هم من شعوب المندينغ المعروفة في غرب إفريقيا، و يعد السوننكي من أقدم الشعوب في غرب إفريقيا إلى جانب المالنكي. حيث يضم هذا الشعب عدة فروع منهم الكوسا(les kusa)، الواغو(les wagu)، والكاغورو(les kaguru) ، وعرفت هذه المملكة بمملكة واغادو أو غانة، و تعدو أصول هذه المملكة إلى القرون الميلادية الأولى (ربما القرن الثالث للميلاد حسيب دولافوس)، وذلك بعد حدوث جفاف كبير في المنطقة جعل الحياة هناك غير ممكنة، فاتجه السكان السوننكي مؤسسي هذه المملكة جنوبا للاستقرار في الأراضي المجاورة. وهذا الزحف يسمى بالانتشار الكبير للسوننكي، فاتبعوا مجرى نهري النيجر و السنغال عابرين منطقة فوتا جالون و مرتفعات جبال المندينغ.

لقد استقر السوننكي في بادئ الأمر في ديا غا (أو دياخا)، ثم انطلقوا باتجاه الشمال الغربي أين أسسوا مستوطنات زراعية، في المناطق التي توجد بها ولاتة و نيما (جنوب شرق موريتانا). حيث كان السوننكي خلال هذه الفترة يدينون باليهودية حسب دولافوس، بالمجوسية حسب محمود كعت، وتعود جذور هذه الهجرة إلى حوالي 200 سنة الميلاد، لكن خلال القرن الثاني للميلاد التحقت بالسوننكي عناصر بيضاء ذات أصول إسرائيلية، قادمة من الشام و مرت على دياغا هي الأخرى لتستقر في بلاد الوكر بموريتانيا الحالية بالقرب من المستوطنات السوننكية ثم التحقت بهم اليهود القاطنين في توات(بمنطقة أدررا الحالية)، وخلال القرن الثالث كونوا مملكة غانة.

1. أسطورة واغادو بيدا و تأسيس مملكة غانة:

بخصوص ظروف تأسيس هذه المملكة فليست لدينا معلومات غير تلك الأساطير التي تناقلتها الروايات الشفوية المحلية التي تقول بأنه أول من حكم هذه المملكة هو رجل يدعى دينيا و هو من الساميين و ا يعود أصله إلى داود عليه السلام، و الذي قدم

خلال هجرة الشاميين إلى المنطقة و معه 300 مرافق من السحرة اليهود، حيث لما وصلوا إلى قرية توجد في المكان الذي سوف تظهر فيه مدينة جني فيما بعد (أي سنة 800م)، وهنا في هذه القرية طلب دينيا من سكانها أن يزوجوه إحدى بناتهم، حيث تزوجها و سكن معها في تلك القرية لمدة 27سنة من دون أن تنجب له أي طفل، لهذا تاركها و انتقل مع قبيلته للعيش في قرية تسمى دياغا او دياخا، حيث استقر هناك و تزوج فتاة من سكان تلك القرية.

لقد أنجبت له الزوجة الثانية ثلاثة توائم مات واحد منهم و بقي اثنان، بعدها ترك دينيا قرية دياغا و توجه هو وقبيلته إلى إمارة كينغي (Kingué)أين استقر في مكان يدعى داراغا(Daraga) في مالي الحالية، حيث أرسل رجاله لحفر بئر للحصول على الماء، وهنا لما همَّ أصحابُه بالوصول إلى الماء ــ حسبما ترويه الأسطورة ــ خرج لهم جني من البئر و منعهم من الدخول. و لما اخبروا زعيمهم دينا جاء و صرخ في وجه الجني حتى أصيب بالعمى ، فقام الجني بدوره بالصراخ في وجه دينيا الذي أصيب بالعمى والصم، فلم يعد يسمع ولا يرى، فندى كبير سحرته الذي يدعى كارابارا دياديانيي(Karabara Diadiané)، الذي استعمل سحره فصرخ في وجه الجني الذي تحول أيضا إلى أصم و لم يعد قادرا على الحركة، فطلب العفو من دينيا قائلا له: « إذا أبعدت عني هذا السحر الذي ألحقته بي، سنسكن مع بعض في هذه القرية، و سأزوجك بناتي الثلاثة »، وافق دينيا على هذا الاقتراح و اتفق الطرفان و أزاح عنه السحر الذي لحق به.

تواصل الأسطورة بأن قبيلة دينيا عاشت جنبا إلى جنب مع الجني و تزوج بناته فأنجبت له واحدة منهم خمس بنات و ثعبان يسمى بلغتهم واغادو بيدا، و الثانية أنجبت له خمس ذكور من بينهم ماغان ديابي (Maghan Diabé) و هو الذي سوف يؤسس مملكة واغادو (غانة) فيما بعد، أما الثالثة فقد أنجبت له أربعة ذكور، و لما كبر دينيا و أصيب بالعمى طلب في احد الأيام من ابنه الأكبر و هو من زوجته الجنية الأولى و هو تيري كيني (Tiré – Kiné) أن يقتل فريسة في الغابة و يجلب له لحمها مشوي، وذلك من اجل أن يمنحه الإشارة الملكية ليصبح ملكا، لكن كبير السحرة و هو كارابارا كان لا يحي تيري كيني، و كان يميل إلى أخيه غير الشقيق و هو ماغان ديابي و هو الابن الأكبر للجنية الثانية

زوجة دينيا، فقام بحيلة و هي انه اخذ كبشا من المزرعة و ذبحه و سلخه و شواه، و أعطاه لماغان ديابي لقدمه لأبيه على أساس أن تيري ـ كيني هو من فعل ذلك، حيث كسا ماغان بجلد تيس حتى يظن والده انه هو (لان تيري تيني كان كثيف الشعر)، و لما جاء إلى عند أبيه مقدما له الطريدة المغشوشة فتلمسه والده قائلا له : هل انت هو تيري كيني؟ فأجابه ماغان بالإيجاب، فقال له : يا بني إن صوتك هو صوت ماغان لكن بشرتك هي بشرة كيني، المهم أنتما كلاكما ابناي، فتناول اللحم المشوي و منح لماغان الشارة الملكية وخرج من عنده وقد نجحت الخطة.

لما عاد تيري كيني من الصيد و هو يحمل جاموسة على ظهره بعدما قتله في الغابة،ى اكتشف المؤامرة التي دبرت ضده ، غضب غضبا شديدا و حاول قتل أخيه ماغان ديابي ، لكن والده دينيا هدأه، و منح تيري كيني تعويذة تسمح له و لأحفاده من بعده بأن يتحكموا في سقوط الأمطار. و بعد وفاة دينيا جاء كبير السحرة كارابارا إلى ماغان بعدما أطلع له على مستقبله فأخبره بأنه سيكون ملكا على مملكة كبيرة جدا في واغادو في منطقة الساحل الإفريقي، في مكان يسمى كومبي في الطريق المؤدي إلى ولاتة ونيما.

لما سمع ماغان ديابي بهذه الأخبار ترك داراغا و توجه شرقا نحو كومبي، أربعين فارسا و كبير السحرة، و أخيه الشقيق سيسي، بينما ترك إخوته غير الأشقاء في داراغا إلى أن وصلوا إلى مكان تحت شجرة و هو المكان الذي يعرف بكومبي، و كان أول شيء فعله ماغان هو قطع تلك الشجرة، و لما سقطت الشجرة ظهرت الفتحة التي نبتت منها الشجرة على شكل بئر، خرج منه ثعبان و هو احد أبناء دينيا من زوجته الجنية الأولى، وقال له:« أنا واغادو بيدا، أخوك و اخو شقيقك تيري كيني الذي غدرت به، لما خرجت من بطن أمي سكنت هذا البئر و الأرض التي تجاور هذا البئر و التي تسمى بيدا، ولا أريدك أن تأتي بالقرب مني لتزعجني، و لن أترككم تقيمون هنا في هذه القرية إلا بشرط واحد و هو أن تقدموا لي في كل سنة أجمل فتاة لديكم، و هكذا سابقي في بئري مختبئا و لن يراني احد ،و بهذا ستحل عليكم نعمة و تتساقط عليكم الذهب من السماء بعد كل تضحية تقدمونها لي لمدة عشرين يوما يلتقط الناس ما شاءوا من الذهب ليسمح لهم ذلك بالعيش في رفاهية» .

و هكذا سار الاتفاق بين الثعبان و قبيلة ماغان ديابي، إذ التزموا بتقديم التضحيات من أجمل فتياتهم كل سنة من خلال حفل يقام كل سنة في كومبي، فازدهرت الحياة عندهم حسب الأسطورة و عم الخير على كل الناس، و فاضت الأنهار بمياهها، وخصبت الأرض، و كبرت أرضهم، و هنا قرروا حماية الأرض، و تم تعيين ماغان ديابي ملكا عليهم، وقسموا المملكة إلى أربع إمارات وزعت على القادة على الشكل التالي:

ـ إمارة ديارا في الشمال الغربي، و على رأسها واغاني ساخو (Wagané Szakhou) ـ إمارة سيغا في الشرق و على رأسها دياميرا سوغونا ـ إمارة الجنوب في كاماتنغي و على رأسها ماخان دومبي سيلا

ـ إمارة الجنوب الغربي امارة فالو و على راسها غوماتي فادي. وهكذا نشأت مملكة غانا او واغادو التي كانت أقدم و أعظم مملكة في غرب إفريقيا.

ثالثا: التطور التاريخي للمملكة:

1. فترة حكم البيضان:

من خلال هذه أسطورة التأسيس، و من خلال ما ذهبت إليه عدة دراسات غربية وحتى سودانية، فإننا نجد بأن هذه العائلة التي سكنت بلاد الأوكر في كومبي، و أسست أول مملكة لغانة هي أسرة شامية أو بالأحرى إسرائيلية باعتبارهم ينحدرون من سلالة النبي سليمان بن داوود عليهما السلام، كما سبق و أن ذكرنا. و حتى عبد الرحمان السعدي يذكر بأن اول من حكم هذه المملكة هم من البيضان، حيث يقول: « ... و قيمع هذا(يقصد كاياماغان) هو الذي بدأ السلطنة في تلك الجهة ودار إمارته غانة و هي مدينة عظيمة في ارض باغن(يقصد باغانا) ، و قيل أن سلطنتهم كانت قبل البعثة فتملك حينئذ إثنان وعشرون ملكا و بعد البعثة إثنان و عشرون ملكا و عدد ملوكهم أربعة و أربعون ملكا ».

فمن خلال هذا النص نكتشف عدة حقائق حول تاريخ مملكة غانة ، و أول هذه الحقائق أن البيض هم أول من أسس هذه المملكة، و أن كان السعدي لم يحدد جنس هؤلاء البيض، كما أننا نستنتج بأن هذه المملكة تأسست منذ مدة طويلة قبل بعثة الرسول صلى الله عليه و سلم، فإذا كانت البعثة كانت سنة 610 ميلادية، و إذا كان متوسط مدة حكم كل

ملك هو 10 سنوات، فأن مدة حكم 22 ملك تكون قد دامت 220 سنة، و بالتالي يكون تأسيس هذه المملكة في نهاية القرن الرابع. لكن دولافوس يقول بان بداية هجرة الشاميين نحو بلاد الاوكر كانت منذ سنة 150 ميلادية أي في منتصف القرن الثاني.

أما بخصوص أصل البيضان الذين كانوا أول من أسس وحكم غانة، لكن هناك اختلاف بشأنهم، فعلى خلاف دولافوس الذي يقول أنهم شاميون من بني إسرائيل، فهناك دراسات أخرى تقول بأنهم مهاجرين قدموا من شمال إفريقيا، أي من البربر و بالتحديد من برقة الليبية، و كان ذلك حوالي القرن الأول الميلادي، ثم استقروا في منطقة أوكار وسط مجموعة من الزنوج السوننكي التجار وسيطروا عليهم و حكموا عرش غانة، حيث اتخذ هؤلاء الملوك لقب كيمع حسب السعدي، و كايا ماغان أو كانا ماغان، أي الملك ماغان حسب د ولافوس. حيث استعبد هؤلاء البيض شعب السوننكي و جعلوهم خدام لهم حسب السعدي الذي قال: « ... و خدامهم عكريون »، و هو يقصد بقوله عكريون أي أنهم سودان من طائفة الونغارا السوننكي الذين يطلق عليهم السعدي اسم وعكري.

و لقد تعززت قوة البيضان و سيطرتهم على السودان السوننكي اكثر بوصول هجرات بربرية قادمة من توات ، الذين يبدو أنهم تعلموا من الشاميين حياة المدنية و الاستقرار فأسسوا مدينة بأتم معنى الكلمة. و أصبح البيضان الأسياد الحقيقيون للبلاد، و هنا ظهرت غانة كعاصمة لمملكة وإمبراطورية مشهورة خلال القرن الثالث للميلاد و استمر حكمهم إلى غاية القرن الثامن، حكم منهم اثنان و عشرون ملكا قبل البعثة النبوية. و اثنان و عشرون بعد البعثة إلى غاية سنة 790م، إذا ما أخذنا بنظرية دولافوس التي تقول أن متوسط حكم كل ملك هو ما بين 12و15 سنة.

2. فترة حكم السودان(السوننكي):

وبحلول القرن الثامن للميلاد تمكنت أسرة سوداء من العبيد السوننكي و هي أسرة سيسي من طرد أسرة البيض الحاكمة بعدما استأصلتها و أبادتها، إذ يصف محمود كعت النهاية المأساوية لهذه الأسرة بقوله :« ثم أفنى الله ملكهم وسلط أراذلهم على كبرائهم من قومهم واستئصالهم و قتلوا جميع أولاد ملوكهم حتى يبقروا بطون نسائهم، و يخرجوا الجنين

ويقتلهم». و تعود تفاصيل هذه الثورة التي قام بها السود ضد البيض حسب السعدي كما يلي:

في ظل سيطرة العناصر البيضاء على الحكم في غانة ، و خلال نهاية القرن الثامن قام الإمبراطور الحاكم في غانة بقتل احد السود السوننكي بنتيغي دوكوري(Bentigui Doukouré)، و ذلك من اجل سبب تافه، و كان هذا الأخير الخادم المفضل لرجل من عائلة بيضاء تنحدر من درية سليمان عليه السلام، و الذي كان يشغل منصب وزير أول عند الإمبراطور الغاني ، فقام هذا الوزير باستقبال أرملة بنتيغي التي كانت حامل ، و بعد مدة قامت بوضع مولودها، و من اجل حماية ابنها من انتقام و حقد الملك و حاشيته، قامت أرملة بنتيغي باستبدال ابنها ببنت أخرى ولدت في نفس اليوم، و هربت ابنها إلى إحدى القرى البعيدة، و عندما كبر هذا الطفل و أصبح رجلا اخبره الوزير الأول بقصة ولادته وقصة مقتل أبيه فقام هذا الشاب بالتوجه نحو الملك و قتله و استولى على الحكم بعدما تلقى الدعم و المساعدة من السود السوننكي، و بذلك انتهت فترة سيطرة حكم البيضان في غانة.

لقد أصبح ابن بنتيغي الملك لفترة من الزمن لكن زعيم عشيرة سيسي كايا ماغان كان يملك قوة عسكرية مكنته من الاستيلاء على العرش لصالحه و لصالح عشيرة سيسي السوننكية. و رغم محاولة البيضان مقاومة هذا الانقلاب لكن السوننكي كانوا اقوى منهم و اكثر تنظيما عسكريا، لهذا اضطر البيضان الخروج من البلد و التوجه نحو منطقة تاغانت (Tagant)، أو تكانت في صحراء موريتانيا، و لم يبق من البيضان إلا بعض العائلات النبيلة في بلاد الأوكر.

و يبدو أن هؤلاء الحكام الجدد كانوا أقوى من الحكام البيض الذين كانت دولتهم تقتصر على مدينتي واغادو و الأوكر، حيث تمكنوا من ضم بعض الأراضي الجديدة إلى مملكتهم مثل أودغست التي افتكوها من الملثمين سنة 990م، و التي بحكم مكانتها كمركز تجاري للتجارة الصحراوية فرضوا أتوات على المارين بها، كما احتلوا كوغة (جاو) و الوكن وسامة، و بلغت أقصى اتساعها خلال أواخر القرن العاشر واستمرت إلى القرن الحادي عشر بفضل سيطرتها على الصحراوية.

رابعا: تأسيس غانة حسب المصادر السودانية المكتوبة:

1. رواية القاضي محمود كعت (كتاب تاريخ الفتاش):

يقول محمود كعت : « و أما سلطنة ملّ ما استقامت إلا بعدما انقراض كيمع **(يقصد كايا ماغان)** سلطان المغرب كله بلا استثناء مكان منه، سلطان مَلّ من عبيده و خدامه و وزرائه، و كيمع بكاف فباء و ميم و عين مفتوحتان معناها في لغة وعكري **(يقصد الونغارا)** ملك الذهب، كيهو الذهب، و مع الملك، و هو سلطان عظيم، و أخبرني بعض الموثقين عن فقيه قاضي ما سنة **(يقصد قاضي منطقة ماسينا)** ألفع أيد الماسيني»، أن كيمع من ملوك الأوائل، و قد مضى منهم عشرون ملكا قبل ظهور رسول الله صلى الله عليه و سلم، و اسم بلده قنب**(يقصد كومبي)**، مدينة عظيمة و كان انقراض دولتهم في القرن الأول من الهجرة النبوية، و حدثني بعض السلف أن آخر **كنسعي** بكاف مفتوحة فنون مكسورة و سين مهملة، و هو الملك في زمان رسول الله صلى اللهى عليه و سلم، و له بلد اسمه **كرنكع**، و هو مسكن أمه ، و هي الآن بقيت عامرة، ويقال أن له ألف خيل مربوطين في داره عادة معروفة إن مات واحد منهم في صبح **(أي إذا مات خيل)** جيء بآخر مكانه عوضه قبل المساء و في الليل كذلك، و لا ينام واحد منهم إلا على زربية و لا يربط إلا بحرير في عنقه و في رجله،.... و كان **(أي كيمع)** يخرج عشا كل ليلة يسمر مع قومه، ولا يخرج حتى يجمع عليه ألف حزمة، و يجمعوها في باب دار مملكته و يوقد تحته نار، ويشتعل مرة واحدة و يضيء له ما بين السماء و الأرض و يشرق البلد كله، ثم يأتي ويجلس على منصة الذهب الأحمر....ثم إن جلس يأمر بعشر من الموائد و يأكلون و هو لا يأكل ، بمتى تم الأكل يقوم و يدخل و لا يقومون حتى تصير الحزمات رمادا ثم يقومون، و هذا على الدوام، ثم أفنى الله ملكهم، وسلّط أراذلهم على كبرائهم من قومهم **(و يقصد الصوصو)**، و استأصلهم و قتلوا أولاد ملوكهم، حتى يبقروا بطون نسائهم و يخرجوا الجنين ويقتلهم، واختلف أي قبيلة كانوا منها، قيل من وعكري، و قيل من ونكر، و هو ضعيف لا يصح وقيل من صنهاجة **(يقصد المرابطين أو دولة أنبية الصنهاجية)** وهو اقرب عندي ... و قد بعُدَ زمانهم و مكانهم علينا و لا يتأتى لمؤرخ في هذا اليوم أن يأتي بصحة شيء من أمورهم يقطع بها، ولم يتقدم لهم تاريخ فيعتمد عليه ».

2.رواية عبد الرحمان السعدي(تاريخ السودان):

يقول السعدي: « و كيمع هو الذي بدأ السلطة في تلك الجهة، و دار إمارته هي غانة، و هي مدينة عظيمة في أرض باغن (**باغانا**) قيل أن سلطتهم كانت قبل البعثة، فتملك حينئذ إثنان و عشرون ملكا، و بعد البعثة اثنان و عشرون ملكا، و عدد ملوكهم أربعة وأربعون ملكا، وهم بيضان في الأصل، ولكن ما نعلم من ينتمي إليه في الأصل، و خدامهم وعكريون، فلما انقرضت سلطتهم خلفها في السلطنة أهل مل و هم سودان في الأصل».

نلاحظ هناك تقارب كبير بين روايتي محمود كعت و السعدي، و هو ما يجعلنا نعتقد أن السعدي يكون قد اخذ عن محمود كعت بخصوص هذه المعلومات. كما أننا لاحظنا من هذه المصادر لا وجود لذكر الأصل الشامي أو اليهودي الذي ذكره دولافوس حول أصول مؤسسي غانة. كما يختلف محمود كعت مع دولافوس على أن مملكة كاياماغان من السود الونغاريين كانت أول من حكم غانة مع أنهم هم جاؤوا بعد فترة حكم البيضان.، بينما يتفق السعدي حول الأصل الأبيض لمؤسسي غانة لكنه ينكر معرفته بأصلهم.

سقوط غانة:

هناك عدة تفسيرات ذكرها القاضي محمود كعت حول سقوط مملكة غانة حيث يقول: «... ثم أفنى الله ملكهم، و سلّط أراذلهم على كبرائهم من قومهم **(و يقصد الصوصو)**، واستأصلهم و قتلوا أولاد ملوكهم، حتى يبقروا بطون نسائهم و يخرجوا الجنين ويقتلهم، واختلف أي قبيلة كانوا منها، قيل من وعكري، و قيل من ونكر**(يقصد مالي)**، و هو ضعيف لا يصح وقيل من صنهاجة **(يقصد المرابطين أو دولة أنبية[1] الصنهاجية)** و هو اقرب عندي ».

---

(1) انبية: هي دولة مكونة من تحالف القبائل الصنهاجية لمتونة و جدالة و مسوفة، كان أول من أطلق عليها هذا الاسم اليعقوبي خلال القرن التاسع، و هي الدولة الصنهاجية التي وجدت في الصحراء قبل دولة المرابطين و التي كانت معادية لغانة و تنافسها على مناجم االملح و على اهم المراكز التجارية و في مقدمتها اوداغوست. انظر: **الناني ولد الحسين**، صحراء الملثمين و علاقتها بشمال و غرب إفريقيا من منتصف القرن2ه/8م، إلى نهاية القرن5ه/11م، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، طبعة اولى، 2007، ص 123.

فالتفسير الأول: يعود حسب كعت إلى هجوم الصوصو عليهم، و الذين كانوا من عبيدهم، والحقيقة أن الصوصو الذين يعدون أحد فروع السوننكي، و كانت مملكتهم في كانياغا بقيادة عائلة دياريسو التي تسلمت حكم مقاطعة كانياغا من طرف ماغان دياباي سنة 750م، و أصبحت تحكمها تحت سلطة غانة أي باعتبارها ولاية تابعة لغانة، و بعد الغزو المرابطي لغانة و ضعف هذه الأخيرة، استغلوا الفرصة و أعلنوا انفصالهم عنها و كونوا مملكة كانياغا المستقلة. لكن بعد وفاة اخر ملوك كانياغا من اسرة دياريسو و هو بيراما عام 1180م، و اندلاع صراعات حول العرش بين أبنائه التسعة ، استغل قائد جيشه و هو ديارا كونتي و استولى على العرش فانتقل الحكم إلى عائلة ديارا التي كانت عائلة وثنية تمارس السحر، و تكره المسلمين، و خاصة في عهد الملك سومنغورو كونتي ابن ديارالا كونتي، و التي كانت في الأصل من طائفة العبيد، لهذا قال محمود كعت سلط عليهم أراذلهم، فقامت هذه العائلة بغزو مملكة غانة و ضمها لمملكتها و قتلت المسلمين في غانة بعدما احتلت كومبي وطردتهم إلى ولاتة التي كانت تسمى بيرو. بعدما استأصلوهم و قتلوا أولاد ملوكهم، وبقروا بطون نسائهم و أخرجوا منها الجنين قتلوهم، حسبما ذكره كعت.

و هذا السبب يبدو انه الأقرب إلى الأسباب المنطقية لان مملكة غانة بعد غزو المرابطين لها لم تسقط نهائيا و إنما أصبحت مملكة تابعة لدولة المرابطين لكن هذا الوضع لم يدم أكثر من عشرين سنة، لأنه بعد وفاة الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر، و انشغال المرابطين بشؤون الأندلس جعل غانة تستعيد استقلالها من جديد كمملكة إسلامية سنة 1090م، و لم تسقط نهائيا إلا بعد غزو حكام كانياغا من الصوصو.

اما التفسير الثاني الذي قدمه كعت بالنسبة لسقوط غانة فهو بسبب تعرضها لغزو صنهاجة او المرابطين، لكننا نستبعد هذا التفسير رغم أن كعت يقول هو الأقرب عندي، ذلك انه بعد استشهاد ابا بكر بن عمر في بلاد السودان، غادرها ابنه إبراهيم و لجا إلى أغمات لمطالبة يوسف بن تاشفين بحق أبيه في الإمارة، و هنا انتهزت بلاد السودان فرصة اضطراب الجيوش المرابطية هناك بعد وفات قائدها فأعلنت غانة استقلالها عن المرابطين و نقضت تبعيتها لهم.

و بذلك نكتشف أن غانة بقيت موجودة بعد الغزو المرابطي و استقلت على شكل دولة سودانية إسلامية و قد زارها كل من الإدريسي خلال القرن 12م، و تحدث عنها ابن سعيد المغربي في القرن 13م، (عاش بين 1214 و 1286م)، حيث وصفها بقوله: «... و مدينة غانا على ضفتي النيل، ... و بها يحل سلطان غانا و هو من ذرية الحسين بن علي رضي الله عنهما، و له في قصره لبنة كبيرة من ذهب تبر غير مسبوك كبيرة فيها ثقب يربط فيها فرسه و يفخر بذلك على سائر ملوك السودان،.و هو كثير الجهاد للكفار وبذلك عرف بيته ». و بالتالي فان الأوصاف التي قدمها لنا هذان الجغرافيان تثبت بان غانة كانت مملكة إسلامية قائمة بذاتها خلال القرنين12و13 الميلاديين.

التفسير الاسطوري:

حسب الأسطورة فإنه بعدما استقر السوننكي في كومبي و أسسوا مملكة غانة، بعد اتفاقهم مع الثعبان المقدس بتقديم كل سنة أجمل فتاة كقربان له، لكن بع مرور أربعة قرون من هذا التقليد وقع الاختيار على فتاة من عائلة نياخاتي تسمى (سيا نياخاتي) لتكون قربانا للثعبان من طرف شيوخ كومبي، لكن هذه الفتاة كان لديها ابن عم وخطيبها في نفس الوقت يسمى (فاتا ماغا نياخاتي) أو (ممادو ساخو حسب روايات أخرى) و هو رجل مسلم، والذي كان فقد خطيبتين من قبل بسبب اختيارهن كقربان للثعبان، لهذا توجه إلى أخيه مانا ماغا قائد جيوش كومبي ليتوسط له لدى شيوخ كومبي ، لكن هذا الأخير تعاطف مع أخيه الأصغر و رفض أن يتم تقديم خطيبته سيا كقربان، فتسلل عند الغروب لمكان تقديم القربان و قطع رأس الثعبان المقدس و خلص خطيبة أخيه(و في رواية اخرى فإن مامادو ساخو هو من قطع رؤوس الثعبان السبعة)، و هرب هو و أخيه و خطيبته باتجاه الغرب، و لما وصلا إلى مكان آمن وجد أخاه يعاني من جرح فعالجه و شفي، فسمي هذا المكان باسم ديارا (Diara) والتي تعني بلغتهم الشفاء، و التي أصبحت عاصمة لمملكتهم التي أسسوها بعيدا عن غانا.

تقول الاسطورة انه بعد قتل الثعبان فان رؤوسه تطاير و سقط الأول في بامبوك والآخر سقط في بوري، و الأخر تساقط في غالام، بينما تساقط راس في فاليمي، و أخر في بندوكو، و أخر في أشانتي و السابع في لوبي، و بذلك اختفى الذهب من غانا و انتقل الى

هذه المناطق في أدغال إفريقيا، التي تحولت الى مناجم جديدة للذهب، كما تبعها فترة جفاف دامت سبع سنوات ، و هذا ما جعل المنطقة تتحول إلى صحراء قاحلة و هجرها الناس وتفرق السوننكي في مناطق عديدة و سقطت الإمبراطورية.

خامسا: المظاهر الحضارية لغانة:

1.الدين:

كانت الوثنية الديانة الأساسية في مملكة و اغادو، بحيث كانوا يعبدون الأرواح أو ما يعرف بالأرواحية، و هي قوة حيوية التي تحرك الكائنات الحية و حتى الأشياء و الطبيعة مثل الصخور والرياح و غيرها.

و كان كل زعيم عشيرة من العشائر النبيلة في غانا و ما يعرف بواغي (Wagué)، يقوم كل عام بالتضحية بثور في المدخل الغربي من القرية،و يرددون تراتيل مهمة و ذلك يكون في نهاية الشهر السابع من التقويم السوننكي. وهو شهر يسمى شهر الديومين (Diomine) الذي يهاجر فيه نوعان من الطيور هما البشلون الأبيض (الملك الحزين) والقلق قادمان إلى منطقة الساحل، حيث أن هجرتهما تعد بمثابة إعلان عن بداية فصل الشتاء. وفي الشهر الثامن تسقط أول أمطار الشتاء، كما يظهر نجم الثريا (Pléiades المقدس الذي يزين سماء واغادو في ليالي الشتاء المظلمة

كما عقيدة واغادو بيدا تمنع بشكل أساسي لسوننكي من الزواج من الفلاني، كما أن البئر أو البركة التي يعيش فيها الثعبان المقدس تكون محروسة ليلا و نهارا، من طرف احد من عائلة الخوسا (أو خاسونكي)، و يمنع لأي أحد من الاقتراب منه، كما يمنع استعمال مائه إلا في حالات نادرة جدا لعلاج بعض الأمراض. و في هذه الحالات النادرة كان الثعبان يخرج من هذه الحفرة يراه الواغي (Wagué) أحد زعماء العشائر النبيلة، من مكان بعيد، فإذا كان الواغي داخل غرفة نومه فإنه ينبئه بمولود جديد، أما إذا رآه الواغي وهو في الغابة فإنه ينبئه بوفاة.

2.نظام الحكم:

كانت غانة تتبع نظاما ملكيا وراثيا، بحيث ينتقل الحكم من الملك إلى ابن ابنته أو ابن أخته أي أن المرأة عندهم هي التي تورث، لعدم تأكدهم من انتساب الأب لأبيه، وتأكدهم من انتسابه لأمه. و ربما هذا الارتباط بالأم هو الذي جعل الإمبراطور كنسعي يتخذ مكان ولادة آمه كعاصمة لملكه بدل غانة. وكان للإمبراطور ملوك وأمراء سودان يحكمون المقاطعات.

و كانت حياة الإمبراطور في غانة تخضع لبروتوكولات مثل فرعون مصر، ففي الصباح كان كايا ماغان يقوم بجولة في العاصمة على ظهر حصانه متبوعا بحاشيته، و معهم الزرافات و الأفيال، ويتلقى الشكاوي من المواطنين مباشرة، و في المساء كان يقوم بنفس الجولة لوحده.

المحور الثالث: مملكة الصاو بالكامرون

أولا: موقعا ونشأتها:

لقد أسَّست شعوب الصاو واحدة من بين أقدم الحضارات في غرب إفريقيا ، وحسب الروايات الشفوية لشعب التوبو(Les Toubou)[1] فإن الصاو قد ظهروا على بعد 500كم شمال بحيرة تشاد، وذلك منذ القرن السابع للميلاد، وكانوا يعيشون في واحات كل من بيلما (Bilma)[2] تاجيري وفاتشي ما بين سنتي 930و970م، كما تم رصدهم أيضا في جنوب بحيرة تشاد، في سهل كثيرا ما تغمره مياه فيضانات الأمطار، أسسوا إمبراطورية الصاو، فلقد كانت هذه المنطقة نقطة اتصال وتمازج بين الشعوب أين يكون الصاو قد امتزجوا مع شعب كان موجود هناك، حيث تمكن المؤرخ جون بيير لوبوف من تحديد عن طريق الكاربون14 وجود مستوطنين بهذه المنطقة منذ 425 سنة قبل الميلاد. فتعمير هذه المنطقة تم عن طرق ثلاث هجرات متتالية، كانت الهجرة الأولى عن طريق الصيادين المسلحين بالرماح ومصطحبين معهم كلاب الصيد. أما الهجرة الثانية فقد كانت عن طريق الصيادين أيضا لكن هذه المرة كانوا مسلحين بالأقواس والسهام. بينما كانت الهجرة الثالثة والأخيرة عن طريق صيادي الأنهار والبحيرات مزودين بالشباك كانوا قادمين ربما من البحيرات القريبة. لكن الدلائل الأثرية لم تتمكن من إعطائنا تاريخ دقيق لهذه الهجرات ولم تتمكن من التمييز بين مختلف تلك الجماعات المهاجرة. فالصاو إذا هم في الحقيقة تجمُّع لعدة جماعات إثنية

---

[1] يشكل التبو ، أو الغوران ، مجموعة سكانية تمارس الرعي والترحال في وسط الصحراء. يقع مركز ثقلهم في شمال تشاد، حيث يتزايد عددهم ويمتد إلى جنوب ليبيا وشمال شرق النيجر. يتحدثون التبو، وهي لغة نيلية صحراوية، بالقرب من كانوري. وينقسمون بشكل أساسي إلى مجموعتين كبيرتين لكل منهما منطقته الخاصة: تيدا (في تيبستي ، وفزان الليبية ، ودائرة بيلما في النيجر) ، ودازة. (في بوركو ، إنيدي ، كانم ، بحر الغزال ومقاطعة نغويجمي في النيجر.

[2] بيلما هي مدينة واحة في شمال شرق النيجر. كانت مزدهرة خلال مرحلة ازدهار التجارة عبر الصحراء في العصور الوسطى.

مختلفة و قريبة مع بعضها و غير مسلمة. ففي القرن الحادي عشر أقام الصاو مدن محاطة بالتحصينات والأسوار مصنوعة من الطين الجافة.

ثانيا: تطور المملكة:

إن كلمة صاو تعني الشعب القديم، حيث كسبوا وزن سياسي معتبر من خلال تطوير نشاطهم الدبلوماسي الهام مع مملكة كانم الواقعة في شرق تشاد،و التي يسكنها شعب الكانوري.فقامت بطبيعة الحال حروب بين الطرفين فكانت سجالا بينهما إلى غاية أن قام البولالا(وهم شعب من أصول يمنية) بالانفصال عن الكانم واستقلوا عنها، فقاموا بطرد الصاو فكانت بذلك نهاية إمبراطورية الصاو في نهاية القرن 14م، حيث قُتل العديد من الصاو والبعض الآخر انتقل إلى شمال غرب الكامرون أين اختلطوا مع شعب الماسا(les Massa) المستقرين في تلك المناطق.وبالتالي شكلوا إثنية جديدة وهي الكوتوكو(les kotoko)، وبهذا لم يعد يعرف الصاو باسم الصاو.

ثالثا:المظاهر الحضارية للصاو:

1.الصناعة و العمران:

إن أهم ما يميز المظاهر الحضارية لما يعرف بالفترة الكلاسيكية للصاو هو تلك الجرَّات الفخارية الكبيرة والمزينة جزئيا أو كليا بأشكال و زخارف التي دائما ما كانت تحمل رموزا جنسية، بينما كان الجزء السفلي من الجرة الذي كان يحمل الميت الموضوع داخلها في وضعية الجنين فكانت مغلقة عن طريق جرة أخرى بنفس الحجم، موضوعة بشكل عمودي فم لفم. أو عن طريق فخار أخر بنفس الشكل البيضاوي ولكن بحجم أقل.

أما العناصر الأكثر تعبيرا والتي تشهد بتفوق حضارتهم هي بدون منازع التحف الفنية خاصة النقوش الفخارية سواء لأجسام حيوانية أو أدمية الموجودة في الأضرحة أماكن تقديم

القرابين حيث أن معظمها وجدت مشتركة مع الطقوس الجنائزية، فقد تم إحصاء أكثر من 350 موقع اثري سواء في تشاد أو في كامرون تابع لهذه الحضارة، وبهذا أصبح اسم صاو هو نموذج لحضارة وجدت قبل الإسلام في وسط إفريقيا.

من خلال الحفريات الأثرية التي أجريت في السهول السفلى في جنوب وتشاد وفي مناطق في جزء من نيجيريا والكامرون وتشاد نستنتج أنه توجد خمس حقب تاريخية واضحة في تاريخ ثقافة صاو. ففي الألفية الأولى قبل الميلاد فقد سيطر على بعض المواقع الصيادون البريون و النهريون من العصر النيوليتي. و في حوالي 200 سنة قبل الميلاد، ظهور الحديد و نجد اول ظهور للتربية الحيوانات و بداية صناعة الطين المشوية(الفخار). أما في حوالي القرن العاشر الميلادي فقد تم اكتشاف أقدم نقوش لمجسمات بشرية في منطقة ميسو(Messo) بتشاد.وخلال القرنين 12 و 13 ميلاديين تمت عملية تعميم المراسيم الجنائزية داخل الجرأت التي قد يفوق طولها 1.40سم، مع تزايد عملية صناعة الخزف وازدهار صناعة النحاس.

ومع بداية القرن 15و16م زيادة النقوش المصممة للوجوه البشرية إلى غاية ظهور الإسلام الذي منع التجسيم والتمثيل البشري في النقوش لدى الصاو، حيث عادت سيطرة صناعة الطين المشوي والفخار كما أن الطين كان يستعمل بشكل مستمر لصناعة الأغراض اليومية وحتى الدينية.

عاش الصاو في مدن محاطة بجدار مصنوع من التربة الخام بقاعدة عرضها 3.5 إلى 4 أمتار، كما انتشرت فيها الأكواخ داخل المدن و القرى التي أقيمت على حواف الأنهار والبحيرات. وقد سيطروا على صناعة الطين المشوي لأغراض منزلية أو ثقافية والتي ضمت مزهريات من كل الأحجام، وأفران مزودة بفتحات تهوئة، كما كانوا ينتجون أدوات عديدة من الخزف كالمجوهرات و ألعاب الأطفال، ورموز نقدية.كما سجلت الكشوفات الأثرية غياب

الأدوات الحديدية بينما كانت المنتجات النحاسية منتشرة كثيرا و التي كانت تتم عن طريق الشمع المفقود (Cire perdue)[1].

كان الصاو يمتهنون الصيد بنوعيه و مزارعين و كانوا يتمتعون بقامات فارعة من خلال ما تؤكده الهياكل العظمية، بينما كان نساؤهم يضعون في شفاههم حلقات تتراوح بين البسيطة والمسطحة، هذه الممارسة كانت ل من اجل أغراض جمالية، حيث تهدف إلى تنفير الأجانب من التقرب منهن، و كذا حتى لا يقعن في العبودية من طرف سكان الشمال. كما انه يهدف إلى التمايز بين الجنسين الذكر و لأنثى، كما أن الصاو يعتقدون بأرواح الأجداد و يقدسون جنيات المياه و المعتقدات الطوطمية.

[1] الشمع المفقود هو عملية صب دقيقة للحصول على منحوتة من المعدن (مثل الفضة والذهب والبرونز والنحاس والألمنيوم) من نموذج شمعي. سيتم بعد ذلك التخلص من نموذج الشمع هذا عن طريق التسخين أثناء العملية. لذلك يجب تغليفها بمادة مقاومة للحرارة والسماح للمعدن أو الزجاج أن يحل محل الشمع.

المحور الرابع: مملكة أكسوم

إن موضوع مملكة أكسوم يبقى يكتنفه الكثير من الصعوبات والغموض نظرا لندرة النصوص المكتوبة حول هذه المملكة التي تمتد في جذور التاريخ بعيدا، و معظم النصوص المتاحة تتمثل في نقوش مبهمة وغير مفهومة عجز علماء التاريخ و الآثار واللغات تفسيرها، أما النصوص الأدبية المكتوبة فتبقي غير كافية.

اولا: الموقع و التأسيس:

تعرف أيضا بالإمبراطورية الأكسومية، وقد جاء اسمها أكسوم ، مركب من كلمتين من اللغات المحلية كلمة أجيو : وتعني المياه؛ وكلمة جعز شوم: التي تعني "رسمي". ربما يعود هذا الاسم إلى وجود إلى المياه والصهاريج الحجرية الكبيرة و القديمة في منطقة العاصمة أكسوم.

وتعد مملكة أكسوم مملكة قديمة تمركزت في جمهورية اثيوبيا الشمالية، وتحديدًا في الإقليم الذي يُشكل اليوم ما إيريتيريا في الطرف الشمالي من مرتفعات منطقة ساحل البحر الأحمر، فوق القرن الأفريقي مباشرة. تأسست في القرن الأول الميلادي، وامتدت على مدة ألف سنة، ويعد أول مصدر تحدث عن مملكة أكسوم يعود إلى كتاب كتبه تاجر مصري في القرن الأول الميلادي. لكن البدايات الأولى لحضارة أكسوم كانت خلال القرن الخامس قبل الميلاد والتي كانت حضارة زراعية في الأساس ثم اضمحلت خلال القرون التي تلتها لكنها ظهرت مرة أخرى خلال القرن الأول الميلادي لكن بمظهر ثقافي جديد، حيث اختفت أسماء الآلهة القديمة وحلت محلها آلهة جديدة، بينما حافظت العمارة على الخصائص القديمة المتمثلة في استخدام الحجارة والخشب والقواعد المدرجة، لكن أدخلت عليها بعض الخصائص الجديدة، كما حدثت تطورات على الفخار من خلال زخرفته طريقة صنعه، كما تم العثور على الخزف المستورد، ووجد الزجاج أيضا، وحلت المدن مكان القرى، كما ظهر اسم أكسوم لأول مرة في السجلات التاريخية لتلك الفترة،

ولقد كانت مدينة أكسوم و مملكة أكسوم تحملان نفس الاسم وكلاهما كان يحظى بصيت عالمي خلال القرن الثالث للميلاد. كانت مملكة أكسوم في ظل اتساعها تشمل المنطقة التي تضم في الوقت الحالي مجموعة من الدول الحالية وهي؛ إثيوبيا، إريتريا، جيبوتي والصومال.وازدهرت هذه المملكة من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلاديين، ثم بقيت ككيان سياسي أصغر بكثير حتى القرن الثامن، لقّب حكام أكسوم أنفسهم، ملك أكسوم وحمْيَر وريدان وصالحين وتسيامو وبيجه وكوش، واستمرت المملكة منذ نحو العام 80 قبل الميلاد إلى العام 825 ميلادي .تمركزت الحكومة في مدينة أكسوم التي كانت عاصمة المملكة، وتقع في نفس موقع مدينة أكسوم الحالية في إثيوبيا وهي اليوم بلدة في إقليم تكرينيا (شمال إثيوبيا). نمت المملكة في القرن الرابع قبل الميلاد تقريبًا ليبرز شأنها بحلول القرن الأول ميلادي. أصبحت أكسوم أهم متحكم في الطرق التجارية التي كانت تربط الحبشة بالإمبراطورية الرومانية والهند القديمة.

تدخلت أكسوم أيضًا سياسيًا في شؤون الممالك التي ظهرت في شبه الجزيرة العربية، ولاحقًا، وسّعت مجال حكمها وهيمنتها لتشمل المنطقة بأكملها عبر غزو مملكة حمير .كانت أكسوم بنظر النبي ماني مؤسس الديانة المانوية) توفي عام 274 ميلادي) إحدى القوى العظمى الأربع في عصره، والقوى الأخرى هي بلاد فارس وروما والصين. أنشأ الأكسوميون لوحات تذكارية ومنحوتات ضخمة لأهداف دينية قبل مجيء المسيحية .تُعتبر إحدى هذه الأعمدة المصنوعة من الصوان (الغرانيت) من أكبر المباني الغرانيتية في العالم، ويصل طولها إلى 90 قدمًا (نحو 27.5 متر في عهد عيزانيا الذي ازدهر حكمه بين عامي 320 و360)، تحوّلت أكسوم إلى المسيحية في القرن السابع ميلادي، لجأ المسلمون الأوائل من مكة إلى المملكة خوفًا من اضطهاد قريش، وتُعرف تلك الرحلة في التاريخ الإسلامي بالهجرة الأولى، أو الهجرة الأولى إلى الحبشة.

استخدمت المملكة اسم» إثيوبيا «منذ القرن الرابع. هناك ادعاءات قديمة تفيد بأن أكسوم هي المكان الأخير الذي وصل إليه تابوت العهد والموطن المزعوم للملكة بلقيس.

ثالثا: النشاط الاقتصادي:

ازدهرت المملكة وعاصمتها أكسوم بفضل الزراعة وتربية الماشية والسيطرة على طرق التجارة التي سمحت بتبادل الذهب والعاج مقابل السلع الفاخرة الأجنبية ، حيث سهّل حكام أكسوم عملية التجارة عبر سكّ عملتهم الأكسومية الخاصة، ففرضت المملكة سيطرتها على حساب مملكة الكوشيين التي بدأت بالانحدار، وشهدت بناء المعالم الأثرية في الحجر المتين وتحقيق عدد من الثنائيات الأولى. كانت أول دولة في إفريقيا جنوب الصحراء تصك عملتها الخاصة، وحوالي 350 م، كانت أول دولة تتبنى المسيحية رسميًا. حتى أن أكسوم ابتكر نصه الخاص ، الجعيز (أو الجعيز)، والذي لا يزال مستخدمًا في إثيوبيا حتى اليوم. بدأت المملكة في الانحدار منذ القرن السابع بسبب المنافسة المتزايدة من التجار العرب المسلمين وصعود الشعوب المحلية المنافسة مثل(Bedjas) بقيت بقايا مملكة أكسوم العظيمة على قيد الحياة كمنطقة أصغر بكثير في الجنوب، لتشكل مملكة الحبشة العظيمة في القرن الثالث عشر.

كانت المنطقة محتلة بالتأكيد من قبل المجتمعات الزراعية المشابهة في الثقافة لتلك الموجودة في جنوب شبه الجزيرة العربية منذ العصر الحجري، لكن مملكة أكسوم القديمة بدأت في الازدهار منذ القرن الأول الميلادي بفضل أراضيها الزراعية الغنية ، وأمطارها الموسمية التي يمكن الاعتماد عليها في الصيف، والسيطرة عليها. التجارة الإقليمية. تضمنت هذه الشبكة التجارية روابط مع مصر في الشمال، وإلى الشرق على طول ساحل شرق إفريقيا وجنوب شبه الجزيرة العربية. تمت زراعة القمح والشعير والدخن والتيف (حبوب عالية الغلة) بنجاح في المنطقة منذ الألفية الأولى قبل الميلاد، بينما تعود تربية الماشية إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، وهو نشاط تفضله السافانا الشاسعة في الهضبة الإثيوبية. كما تم الاحتفاظ بالماعز والأغنام، وكان عدم وجود الأمراض الطفيلية الاستوائية التي ابتليت بها أجزاء أخرى من إفريقيا جنوب الصحراء بمثابة مكافأة إضافية للجميع تمت إضافة الثروة

المكتسبة من خلال التجارة والقوة العسكرية إلى هذه القاعدة الزراعية المزدهرة ، وهكذا في نهاية القرن الأول الميلادي، حل ملك واحد محل اتحاد المشايخ وأسس مملكة متحدة. ستة قرون. ولدت مملكة أكسوم ، وهي واحدة من أكبر مملكة في العالم في ذلك الوقت.

في منتصف القرن الرابع الميلادي، تبنى ملك أكسوم ، عزانا الأول، المسيحية رسميًا في السابق، كان سكان أكسوم يمارسون ديانة تعدد الآلهة الأصلية السائدة على جانبي البحر الأحمر، مع بعض الإضافات المحلية مثل المحرم إله الحرب والاضطراب والملكية ، الذي كان أهم إله أكسوم تشمل الآلهة البارزة الأخرى إله القمر أوباس، وأستار، وتمثيل كوكب الزهرة، والآلهة الكثونية باهر وميدر كانت هذه الآلهة وكذلك الأجداد، موضوع تضحيات تكريما لهم ، وخاصة الماشية ، وسواء كانت حيوانات حية أو تمثيلات نذرية لهم.

كان التجار والمبشرون المصريون قد أدخلوا المسيحية إلى المنطقة خلال القرون الأولى من الألفية الأولى للميلاد، وربما حدث القبول الرسمي من قبل أكسوم لأن المملكة كانت لديها علاقات تجارية مهمة مع المقاطعات الشمالية – أفريقيون من الإمبراطورية الرومانية التي تبنت المسيحية بنفسها. قبل بضعة عقود. في الواقع، كان هناك العديد من العلاقات التجارية والدبلوماسية المباشرة بين القسطنطينية وأكسوم، ومن المحتمل أن هذا المجيء والذهاب للأفراد أدخل أيضًا المسيحية إلى إثيوبيا. من المهم أن نلاحظ، مع ذلك أن المعتقدات الدينية القديمة ربما صمدت لبعض الوقت، كما يتضح من الصياغة الدقيقة لنقوش الحكام حتى لا تنفر جزء من السكان الذين لم يقبلوا المسيحية.

وفقًا للروايات التقليدية، كان فرومنس، المسافر الغارق في صور في القرن الرابع الميلادي، هو من أدخل المسيحية إلى المملكة. تم تعيين فرومنس كمدرس للأطفال الملكيين، ثم أصبح أمينًا للصندوق ومستشارًا للملك، ربما الملك إيلا أميدا عندما خلف إيلا أميدا ابنها إيزانا الأول، الذي كان لفرومانس تأثير أكبر عليه منذ أن كان معلم طفولتها، تم إقناع الملك بتبني المسيحية. ثم ذهب فرومنتيوس إلى الإسكندرية ليحصل على لقب رسمي

من البطريرك هناك لتسهيل عمله التبشيري، ثم عاد إلى أكسوم وأصبح أول أسقف للمملكة. تختلف التواريخ الدقيقة لهذه الأحداث بشكل كبير بين المصادر القديمة وتتراوح ما بين 315 و 360 م، مع احتمال أن تكون النهاية الأخيرة لهذا النطاق هي الأكثر ترجيحًا وفقًا للباحثين المعاصرين. تم تقديس فرومنس لاحقًا لجهوده في نشر الإنجيل في شرق إفريقيا.

كان شكل المسيحية في أكسوم مشابهًا للشكل المعتمد في مصر القبطية في الواقع، ظل بطريرك الإسكندرية رأسًا صوريًا للكنيسة الإثيوبية، حتى عندما وصل الإسلام إلى المنطقة منذ القرن السابع تم بناء الكنائس، وتأسيس الأديرة، وعمل ترجمات للكتاب المقدس كانت الكنيسة الأكثر أهمية هي كنيسة أكسوم، كنيسة القديسة مريم في سيون، والتي، وفقًا للنصوص الإثيوبية في العصور الوسطى اللاحقة، تضم تابوت العهد. يُعتقد أن الفلك لا يزال موجودًا، ولكن نظرًا لعدم السماح لأحد برؤيته، يصعب الحصول على تأكيد لوجوده. كان أهم دير في مملكة أكسوم هو دير ديبري دامو، الذي أسسه القديس البيزنطي الزاهد في القرن الخامس، وهو أحد القديسين التسعة المشهورين الذين عملوا على نشر المسيحية في المنطقة من خلال إنشاء الأديرة. من القرن الخامس تم تحويل سكان الريف، على الرغم من أن بعض المعابد المخصصة للآلهة الوثنية القديمة ظلت مفتوحة حتى القرن السادس في المدن سمح نجاح هذه الجهود بالاستمرار في ممارسة المسيحية في إثيوبيا حتى القرن الحادي والعشرين.

رابعا: ازدهار المملكة:

بدأت مملكة أكسوم بالاقلاع حوالي عام 350 م. حيث فرضت أكسوم بالفعل شكلاً من أشكال الحكم على اليمن (التي كانت تسمى آنذاك حمير) في جنوب الجزيرة العربية وكذلك الصومال في الجنوب الشرقي والعديد من القبائل الأصغر في الجنوب الغربي كان على القبائل الخاضعة، على الرغم من تركها شبه مستقلة، أن تدفع الجزية، عادةً على شكل مئات رؤوس الماشية (كما هو مسجل في نقوش أكسوميت). ربما أعطى هذا تبريرًا طفيفًا لحكام

أكسوم الذين أشاروا إلى أنفسهم الآن بلقب فخم إلى حد ما هو Negusa Negast أو "ملك الملوك". تفاصيل حكم أكسوم وكيف سيطر هذا الملك المطلق على القبائل التي غزاها على مر القرون غير متوفرة، لكن لقب "ملك الملوك" يوحي بالسماح للحكام المهزومين بالاستمرار في الحكم على شعوبهم.

في منتصف القرن الرابع الميلادي، هاجمت النوبة (المعروفة سابقًا باسم مملكة كوش وتقع في السودان الحديث)، وعاصمتها مروي، أكسوم من الشمال (أو العكس)، ربما بسبب الخلاف حول السيطرة. من تجارة العاج في المنطقة. استجاب ملك أكسوم عزانا (حكم 303–350) بقوة كبيرة، وأقال مدينة مروي. ذات مرة، كانت النوبة القوية، التي كانت بالفعل في حالة تدهور خطير وأضعفتها الزيادة السكانية والرعي الجائر وإزالة الغابات ، قد تمت الإطاحة بها بسهولة وتقسيمها إلى ثلاث ولايات منفصلة: فرس ودنقلا وسوبا. ترك هذا الانهيار الطريق أمام أكسوم للسيطرة على المنطقة.

جاءت فترة أخرى من التوسع الكبير لأكسوم في عهد كالب في الربع الأول من القرن السادس احتلت المملكة أخيرًا أرضًا يبلغ طولها 300 كيلومترًا وعرضها 160 كيلومترًا. ربما ليس بهذه الضخامة، لكن سيطرته على السلع التجارية كانت مفتاح نجاحه، وليس الجغرافيا. كان الحكام حريصين أيضًا على الانغماس في القليل من الإمبريالية عبر البحر الأحمر، في اليمن، من أجل السيطرة الكاملة على العديد من السفن التجارية التي تستخدم مضيق باب المندب، أحد أكثر الطرق البحرية ازدحامًا في العالم القديم. تم تنفيذ المداهمات في اليمن في القرنين الثالث والرابع، ولكن في القرن السادس شهدت طموحات أكسوم تصعيدًا كبيرًا. كان ملك اليمن، يوسف ذو نواس، يضطهد المسيحيين منذ 523 م، ورد كالب، الذي كان يحكم دولة مسيحية، بإرسال قوة إلى اليمن حوالي عام 525.

هذا الغزو كان مدعومًا من قبل الإمبراطورية البيزنطية التي كانت أكسوم معها لفترة طويلة– إقامة علاقات دبلوماسية (يختلف العلماء فيما إذا كان هذا الدعم دبلوماسيًا أم ماديًا

بحتًا). منتصرًا ، تمكن ملك أكسوم من ترك حامية كبيرة وتثبيت نائب ملك يحكم المنطقة حتى وصول الساسانيين في عام 570.

خامسا: سقوط المملكة:

تراجعت مملكة أكسوم منذ نهاية القرن السادس، ربما بسبب الاستغلال المفرط للأراضي الزراعية أو توغل رعاة البجا من الغرب، الذين شكلوا أنفسهم في ممالك صغيرة، واستولوا على أجزاء من أراضي أكسوم لرعي ماشيتهم وهاجموا بلا هوادة قوافل الجمال في أكسوم. بالإضافة إلى ذلك، فإن سياسة ملوك أكسوم لمنح حكم ذاتي كبير لزعماء القبائل التي تم فتحها غالبًا ما أدت إلى نتائج عكسية وقدمت لبعض هؤلاء الملوك الوسائل لشن التمردات في النهاية، ستدفع أكسوم ثمناً باهظاً لافتقارها إلى جهاز إداري حقيقي للدولة. أخيرًا، منذ بداية القرن السابع، تعرضت الشبكات التجارية للبحر الأحمر لمنافسة شرسة من العرب المسلمين. تحرك قلب ولاية أكسوم على بعد 300 كيلومتر (186 ميلاً) جنوباً إلى مدينتي لاليبيلا وجوندار. نتيجة لهذا التدهور، بحلول نهاية القرن الثامن، لم تعد إمبراطورية أكسوم القديمة موجودة.

قاومت مدينة أكسوم أفضل من مملكتها التي تحمل اسمها ولم تفقد أهميتها الدينية. أصبحت أراضي مملكة أكسوم في نهاية المطاف مملكة الحبشة في العصور الوسطى مع تأسيس سلالة سليمان حوالي عام 1270 والتي ادعى ملوكها النسب المباشر للملك التوراتي سليمان وملكة سبأ (انظر النسب سليمان في تاريخ إثيوبيا)

قائمة الببليوغرافيا

المراجع باللغة العربية:

1-البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز)، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، مقتبس من كتاب المسالك و الممالك. مكتبة أمريكا والشرق ميزونوف، باريس، 1965م.

2-جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء. ترجمة: مختار السويفي، دار الكتاب المصري (القاهرة) ودار الكتاب اللبناني (بيروت)، الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م

3 – جمال الدين عمراوي، دور قبائل البانتو في تأسيس مملكتي المونوموتابا و الكونغو في افريقيا جنوب الصحراء، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر2 ابو القاسم سعد الله، 2019/2018م، (غير منشورة).

4- ابن حوقل(أبو القاسم النصيبي) (عاد من أسفاره سنة362هـ)، كتاب صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996،

5- محمد عوض محمد، الشعوب و السلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف، والترجمة، مصر1965

6- السعدي عبد الرحمان، تاريخ السودان،طبعة هوداس، باريس،1964.

7- الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي و الاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء، من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م.

8- الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين و علاقتها بشمال و غرب إفريقيا من منتصف القرن2هـ/8م، إلى نهاية القرن5هـ/11م، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، طبعة أولى، 2007.

9- كعت(محمود)، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس، طبعة هوداس وموريس دولافوس،المكتبة الأمريكية والشرقية، باريس، 1964 م.

10- دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام فيغرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 14008هـ /1988.

11- ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، طبعة أولى ، 1970.

المراجع باللغات الأجنبية:

- John Iliffe, Les africains – histoire d'un continent – traduit de l'Anglais, par ; Jean Paul Mourion, Cambridge university press, Cambridge, 1995.

2- Ferdinand, Goffart, Le Congo, géographie physique, politique et économique, 2e édition revue par George Morissens, Bكruxelles, 1908.

3-Dieudonné Toukam, Histoire et anthropologie du peuple bamiléké, Edition L'Harmattan, Paris, 2010

4**- Dieudonné Toukam**, Histoire et anthropologie du peuple BAMILEKE, l'harmattan, Cameroun

5-J.F. Cunningham, Uganda and its Peoples, Notes on the protectorate of Uganda Especially the anthropology and ethnology of its indigenous races, London, 1904.

6-Bulletin de la société royale Belge de la géographie, Publié par ; M. Rahir, Secrétaire général, 34ème année, 1910, Bruxelles, 1910.

7-Delafosse(Maurice), Haut sénégal-Niger. Emile Larose librairie Editeur, Paris, 1912, tome 2.

8-Mamadi Aïssa :Traditions historiques et légendaires du Soudan occidental , traduit d'un manuscrit Arabe par : Maurice Delafosse, publication du comité de l'Afrique française, Paris, 1913.

9-Jean(Jolly), Histoire du continent Africain, Edit L'Harmattan ,paris,1996, tome1.

10-Cissé (Youssouf tata) , Notes sur les sociétés des chasseurs Malinké. *Journal de la société des Africanistes* .Tome 34, fascicule n°2, 1964.

المقالات باللغة العربية

1 ـ حضارة الصيد في منطقة السافانا، تاريخ إفريقيا العام، صادر عن اليونسكو، مطبعة حسيب درغام وأولاده، لبنان، الطبعة الثانية،1997م، مجلد2.

2 ـ **ساموبري لوانغا و لونييغو وبان فانيسينا**، الشعوب الناطقة بالبنتو و انتشارها، تاريخ افريقيا العام، المجلد الثالث،

3 ـ **ف . فان نوتن**، افريقيا الوسطى، كتاب تاريخ افريقيا العام، مجلد الثاني.

المقالات باللغات الاجنبية:

1-La civilisation bantou, son essor et son déclin. In: *Annales. Économies, Sociétés, Civilisations*. 29e année, N. 2, 1974. pp. 267-281. DOI : https://doi.org/10.3406/ahess.1974.293470
www.persee.fr/doc/ahess_0395-2649_1974_num_29_2_293470

2 -Présidence de M. René Gouzy, président. In: Le Globe. Revue genevoise de géo- graphie , tome 87, 1948. p. 17.
http://www.persee.fr/doc/globe. Document généré le 13/02/2017

3 - Jacques Mauduit , Les Bochimans : pris en étau entre Noirs et Blancs, un peuple épris d'individualisme et possédant un immense héritage artistique.in :Le monde diplomatique, Janvier 1966. http://www.monde-diplomatique.fr/1966/01/

4 -Anne Mayor, Traditions céramiques dans la boucle du Niger : ethnoarchéologie et histoire du peuplement au temps des empires précoloniaux, in *journal of African archeology - Monograph series*, vol 7, printed by Africa Magna Verlag, 2011.

5 - Froment Alain. Adaptation biologique et variation dans l'espèce humaine : le cas des Pygmées d'Afrique. In: *Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris*, Nouvelle Série. Tome 5 fascicule 3-4, 1993. pp. 417-448.
www.persee.fr/doc/bmsap_0037-8984_1993_num_5_3_2371

6-Diziain R. Le facteur de l'expansion Bamiléké au Cameroun. In: *Bulletin de l'Association de géographes français*, N°235-236, 30e année, Mai-juin 1953. pp. 118.
www.persee.fr/doc/bagf_0004-5322_1953_num_30_235_7419

7-Hurault Jean. L'organisation du terroir dans les groupements Bamiléké.
In: *Études rurales*, n°37-39, 1970. P240.
www.persee.fr/doc/rural_0014-2182_1970_num_37_1_1525

8−**de Latour Dejean Charles-Henri**. La structure parentale dans une chefferie Bamiléké du ndè au Cameroun. In: *Journal des africanistes*, 1976, tome 46, fascicule 1-2. pp. 95-103
www.persee.fr/doc/jafr_0399−0346_1976_num_46_1_1776

9- Teguia Neguim Yannick Franck, L'initiation au Lakam en pays Bamiléké dans l'ouest Cameroun, in *:* http://pitti.over-blog.com/2016/12/l-initiation-au-la-kam-en-pays-bamileke-dans-l-ouest-cameroun.htm**.**

10-Salpeteur Matthieu, « Espaces politiques, espaces rituels : les bois sacrés de l'Ouest-Cameroun », Autrepart, 2010/3 (n° 55), p. 19-38. DOI : 10.3917/autr.055.0019. URL *: https://www.cairn.info/revue-autrepart-2010-3-page-19.htm*

11−Kuipou Roger. Le culte des crânes chez les Bamiléké de l'ouest du Cameroun. In: *Communications*, 97, 2015. Chairs disparues, sous la direction de Valérie Souffron.pp. 93-105.

www.persee.fr/doc/comm_0588-8018_2015_num_97_1_2775

12–**Gossiaux Jean-François**, « Franck Beuvier. *Danser les funérailles. Associations et lieux de pouvoir au Cameroun*. Paris, Éditions de l'EHESS, coll. « En temps & lieux », 2014 », *Gradhiva*, 2016/2 (n° 24), p. 244-245. URL : *https://www.cairn.info/revue-gradhiva-2016-2-page-244.htm*

13- Victoire Chalin, « Réflexions autour de la construction de représentations racistes à l'égard des éleveurs », *Cahiers de l'Urmis* [En ligne], 15 | juillet 2014, mis en ligne le 10 juillet 2014, consulté le 20 novembre 2018. URL : *http://journals.openedition.org/urmis/1253*

13-SOUMARE Zakaria Demba, La légende de la dispersion des Kusa (épopée soninké) entre histoire et mythe**. In :**
http://www.soninkara.com/histoire-geographie/histoire/la-legende-de-la-dispersion-des-kusa-epopee-soninke-entre-histoire-et-mythe.html

14-Germaine Dieterlen, Diarra Sylla, *L'Empire de Ghana. Le Wagadou et les traditions de Yéréré.*. In: ***Journal des africanistes*****,** 1995, tome 65, fascicule 1. pp. 155-156.
www.persee.fr/doc/jafr_0399-0346_1995_num_65_1_2423_t1_0155_0000_1

15-Meillassoux Claude. Histoire et institutions du kafo de Bamako d'après la tradition des Niaré. In: Cahiers d'études africaines, vol. 4, n°14, 1963. pp. Pp189-190

16-Mamadou Soumaré, Mythe de la légende du Wagadu « bida , these de doctorat, in :
http://www.soninkara.org/histoire-soninke/mythe-de-la-legende-du-wagadu-%C2%AB-bida- -628.html

17- Lisapo ya kama , L'empire de Wagadou (Ancien Ghana), in/African History,
http://www.lisapoyakama.org/lempire-de-wagadou-ancien-ghana/

18- Hamet Séméga, Les origines légendaires du Diawara, In :
http://www.soninkaxu.com/histoire.html